

جزء الوقت حط

الحبيب

المسد

[www.makbttna2211.com/](http://www.makbttna2211.com/)



الدار المصرية





7/7/2013



# كلمة المساء

صدر هذا الكتاب ، يكون مؤلفه  
كاتب الكبير عبد الوهاب مطاوع قد  
عشرين عامًا ، منذ بدأ تحرير باب (بريد  
العدد الأسبوعي من جريدة الأهرام ..  
رصد القراء على قراءته ؛ لما يحتويه من  
لمعرفة بعض الصور الحقيقية لما يعانيه  
لمجتمع المصري المعاصر - رجالاً ونساء -  
وهموم ، تعترض حياتهم الاجتماعية ،  
فألمهم الشخصية في حياة سعيه خالية  
كل والهموم.

تأذ عبد الوهاب مطاوع مئات الخطابات  
الذين يلجأون إليه لحل مشاكلهم  
على الطريقة المثلى للتخلص من تلك  
هموم .. ودون ذكر أسماء أصحاب تلك  
قوم الأستاذ عبد الوهاب مطاوع بصياغة  
في خطابات القراء بأسلوب أدبي دقيق  
عن كل مشكلة شخصية باعتبارها  
التي تهم المجتمع المصري ككل ، ثم  
ب - أو لصاحبة - المشكلة الشخصية  
من حل ، تتجلى فيه قدرة المؤلف على  
حلول صائبة تقوم على مبادئ وقواعد  
وعلم الاجتماع والقدرة الفائقة على  
إثني والمهمومين..

\* مدير تحرير جريدة الأهرام  
تحرير مجلة الشباب.  
\* حصل على جائزة مؤسسة  
ومصطفى أمين عام ١٩٩٢  
كاتب صحفي يكتب في  
الإنسانية.

\* يكتب باب (بريد الجمعة  
في الأهرام كل أسبوع باب  
عام ١٩٨٢ ، ويشرف على  
الأهرام اليوم بصحيفة الأهرام  
\* صدر له ٤٧ كتاباً ، يتضمن  
نماذج مختارة من قصص بر  
الإنسانية وردودها عليها ،  
البعض الآخر قصصاً قصص  
أدبية ومقالات في أدب الرحمة  
\* له ثلاث مجموعات قصصية  
( أماكن في القلب ) ( ولا  
(والحب فوق البلاط).

الدار





Read it yourself  
with Ladybird

Beauty and  
the Beast

LEVEL 2





عبد الوهاب مطاوع

# خيمة المساء

الدار المصرية اللبنانية



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



حين يصدر هذا الكتاب متضمنًا مجموعة جديدة من القصص الإنسانية الواقعية التي أعرضها أسبوعيًا في بريد الجمعة بالأهرام، أكون قد أمضيت ٢٠ عامًا على بدء تعاملتي مع هموم البشر ومشاكلهم الإنسانية، منذ أولانى القراء ثقتهم الغالية واثمنوني على أسرارهم وأحزانهم.

وقد تذكرت وأنا أعد مواد هذا الكتاب للنشر الأديب والروائي الفرنسى أونوريه دى بلزاك، ذلك أنه قد راح على مدى سنوات طويلة يكتب فى الصحف الفرنسية فصولاً أدبية، تصور واقع الحياة الباريسية فى زمنه، وينشرها أسبوعيًا بعد أسبوع تحت عنوان شامل، هو «الكوميديا الإنسانية»، فاعتبر النقاد هذه السلسلة الطويلة من القصص والصور الأدبية مرآة صادقة لأحوال المجتمع والبشر والقيم السائدة بينهم فى الفترة، التى كتب فيها بلزاك فصوله هذه.

ولقد أصدرت حتى الآن ما يزيد عن ٢٨ كتابًا من هذه القصص الإنسانية التى عاجلتها فى بريد الجمعة.. فخطر لى السؤال، وأنا أراجع مواد هذا الكتاب.. ترى ما العنوان الموحد الذى كنت سأختاره لهذه المجموعة المتتالية من الكتب، التى ضمنتها نماذج مختارة من قصص البشر وهمومهم، لو كنت قد فكرت فى ذلك منذ البداية؟ وإذا كانت الصحافة كما



علمونا قديمًا - فى قسم الصحافة بكلية الآداب جامعة القاهرة - هى  
مرآة المجتمع .. فماذا تقدم لنا مرآة بريد الجمعة من أحواله وآلامه  
وأحلامه؟

وبعد تفكير طويل، وجدتنى أقول لنفسى أنه لو رجعت مياه النهر  
إلى المنبع من جديد، وهو حلم مستحيل للأسف، لكنت قد اخترت  
لهذه السلسلة من الكتب عنوانًا شاملاً هو «الدراما الإنسانية» ..  
تشبهًا بسلسلة مقالات وكتب بلزاك، التى صورت أحوال البشر  
والمجتمع فى عهده، ولكان هذا العنوان قد عبر بصدق عن مضمون  
هذه القصص والصور الإنسانية، ولكن الأوان قد فات الآن لتحقيق  
هذه الرغبة .. ولم يبق إلا الأمل فى أن أكون قد أدت الأمانة التى  
حملنى أياها المهمومون من البشر، حين كتبوا إلىّ بأحزانهم  
وأفراحهم، وأن أكون قد أخلصت النصيح والمشورة لهم، خلال تلك  
السنوات الطويلة الحافلة بكل غريب وعجيب من أحوال النفس  
البشرية.

**عبد الوهاب مطاوع**



أكتب إليك وأنا مشوشة الذهن وضعيفة التركيز فأنا سيدة  
 فى الأربعين من عمرى، تزوجت زواجاً تقليدياً عن طريق  
 الأهل.. لكننى أحببت زوجى بعد ذلك بشدة وسافرنا  
 معاً للعمل بالخارج لمدة عشر سنوات أنجبنا خلالها  
 ولدين، وكان لى نعم الزوج والمحب المخلص، ولم  
 ألحظ عليه طوال ذلك أية عيوب أو لعلى هونت دائماً من  
 شأن أى عيب لمسته فيه كما ينبغى دائماً للزوجة المحبة أن  
 تفعل مع زوجها، ثم رجعنا إلى بلدنا وعاد زوجى إلى  
 عمله السابق وعدت أنا كذلك إلى عملى، وبدأ هو القيام  
 ببعض المشروعات التجارية إلى جانب عمله فوقفت إلى  
 جواره أشجعه وأحافظ على أمواله حتى اتهمنى البعض  
 بالوصول إلى حد البخل مع نفسى وابنى من أجله، أما هو  
 فلقد كان مهتماً بالظهور بمظهر رجال الأعمال.. ومن حقه أن  
 يفعل ذلك.. وتحملت هذه الفترة من أجل مستقبل ناعم  
 فيه بجنى ثمار غربتنا وشقائنا ولم أطالبه بالرغم من مشاركتى  
 له فى كل شىء - بأن يكتب إحدى الشقق باسمى حين أصبح  
 لنا شقة بالقاهرة وأخرى بالإسكندرية وثالثة بالساحل  
 الشمالى.



ومضت الأيام بنا وهو يتقدم فى عمله ومشروعاته حتى أصبح من الأثرياء، وبدأت أسمع منه نغمة غريبة لم أسمعها من قبل وهى أننى معقدة لأننى قد تربيت تربية متزمتة وهو لا يريد لابنينا أن ينشأ معقدين مثلى، وأننى لست حريصة على بيتى وابنى، وتلفت حولى أبحث فى نفسى وفيمن حولى عن مبرر لهذه الاتهامات فلم أجد ما يدعو له مثل هذه الشكوى، فأنا على درجة عالية من الثقافة والتعليم وأقرأ باستمرار وأحرص على الاستفادة بآراء المتخصصين فى التربية.

ثم لاحظت بعد ذلك أن الابنين قد بدأ يسخران من توجيهاتى ونصائحى لهما ويصفانها بتشجيع من أبيهما بالترمت مع أننى لست متزمتة.. وتواكب مع ذلك أن بدأ زوجى يحكى لى عن زميلة له فى العمل يسيء زوجها معاملتها إلى حد الضرب والإهانة، ويحثنى على دعوتها لزيارتنا دون زوجها واتخاذها صديقة لى لكى نخفف عنها مأساتها، واستجبت لرغبته وبدأت أدعوها للخروج معنا وشجعنى على ذلك أنها لا تتمتع بأى مسحة من الجمال ومتزوجة ولديها ولدان فى مثل عمر ابنى.

وبعد ذلك بدأت ألاحظ كثرة غياب زوجى واختلاقه الأعذار الكثيرة للتأخر فى الخارج، كما كثرت الخلافات بيننا



حول ذلك.. . وفى أحد هذه الخلافات فوجئت به يصارحنى فى هدوء غريب بأنه قد تزوج من أخرى وجد معها نفسه.. . وأنه قد جاء الوقت الذى يزيح فيه هذا السر عن صدره لكى يستريح، ثم طالبنى بعد ذلك بأن أحدد مصير الأسرة ولسوف يفعل ما أريد، مع مراعاة أنه مازال يحببنى ولا يستطيع أن يستغنى عنى أو عن الأخرى.. .

وهكذا وضع زوجى من تحملت معه صعوبات البداية وعناء الغربة وشاركته السراء والضراء فى ميزان واحد مع الأخرى التى لم تعرفه إلا وهو ناجح وثرى.. . ولم أتحمل الموقف واثارت كرامتى وطالبته بالطلاق فراح يضغط علىّ بكل الوسائل للعدول عنه وقام بتشويه صورتى أمام الأقارب والجيران بل وزملاء العمل قائلاً للجميع إن من تطلب الطلاق دون سبب تُحرم من راحة الجنة، وإن زواجه بأخرى ليس سبباً مقنعاً لطلب الطلاق.

وراح الجميع يضغطون علىّ للتنازل عن طلب الطلاق حرصاً على الأسرة وابنى والأموال التى سأحرم منها بالانفصال، بل ذهب البعض إلى تحذيرى من نظرة الناس للمرأة المطلقة، وواصل زوجى ضغطه علىّ للتنازل عن طلب الطلاق وآلمنى أن وجدت الابنين فى



صفه يشاركانه الضغط على من أجل هذا الغرض . . . وحين ناقشتهما فى ذلك فوجئت بهما يقولان لى إن والدهما على حق فيما فعل فإنه لو كان قد وجد معى ما وجدته لدى الأخرى لما تركنى ! بل إنهما ذهبا إلى أبعد من ذلك وأنذرانى بأنهما فى حالة الطلاق سوف يذهبان للإقامة مع أبيهما . . . وقال لى أكبرهما إنه فى الثانوية العامة ويرغب فى الالتحاق بكلية الطب ويحتاج إلى دعم أبيه له لمواجهة ثمن الدروس الخصوصية الكبير . . . أما أصغرهما فلقد وعده أبوه بالاشتراك فى ناديه المفضل ولا يريدنى أن أحرمه من ذلك ! ولقد كان ابنى الأصغر هذا بالذات لا يطيق البعد عنى لحظة واحدة . . . لكن والده زين له ولأخيه ذلك وقام بشراء الملابس الفاخرة لهما . . . واصطحبهما إلى التزهات وللإقامة فى الفنادق حتى أصبح ذلك شيئاً معتاداً فى حياتهما وأصبحا فى كل مناقشة بينى وبينهما يصيياننى بالحسرة من طريقة تفكيرهما .

ولقد كان من المفروض أن أضعف أمام كل هذه الضغوط وأقبل بالأمر الواقع وأستكين . . . لكننى أصبت بالجنون وصممت على الطلاق متنازلة من ذلك عن كل حقوقى . ودبر زوجى السابق لى شقة صغيرة من غرفة واحدة وصالة فى أحد الأحياء البعيدة لكى أترك له الشقة الواسعة التى كنت أقيم فيها، وتركت الشقة الكبيرة



بالفعل وانتقلت إلى الشقة الصغيرة مع وعد منه بأن يزورنى ابناى مرة كل أسبوع .

وهكذا انتهى كل شىء فى حياتى وخسرت كل شىء من البيت إلى الأسرة إلى ابنى الذين تركتهما نزولاً على رغبتهما لكيلا أحرهما من حياة الترف التى يعيشانها مع أبيهما ولم يخسر هو أى شىء .

لقد طلبت الطلاق ياسيدى وأصررت عليه للنهائة أملاً فى أن يرجع زوجى إلى عقله وأملاً فى أن يشعر ابناى بأنهما لا يستطيعان الحياة بدونى . . لكن أملى خاب فى كل شىء وها قد مضى عامان عرفت خلالهما أن زوجى السابق قد تزوج من زميلته فى العمل التى حثنى على أن أتخذ منها صديقة لى ووثقت فيها ثقة مفرطة . . وعلمت أيضاً أنه حين اعترف لى بزواجه من أخرى لم يكن قد تزوجها بعد وإنما كان يمهد لذلك . . فإذا تقبلت الأمر الواقع واستكنت تحصل هى على الطلاق من زوجها ويتزوجان، فلما تمسكت بالطلاق تزوجها خلال فترة النزاع بينى وبينه .

وأنا الآن أعيش وحيدة فى حجرة كالسجن، أعود من عملى فلا أخرج من بيتى إلا صباح اليوم التالى . . وأعيش فى انتظار موعد



زيارة ابنى لى ، ولقد بدأت الزيارات فى البداية كل أسبوع . . ثم تباعدت فأصبحت كل أسبوعين أو ثلاثة ثم وصلت الآن إلى كل ثلاثة أشهر ، وهما يتعللان فى ذلك بالدراسة والمذاكرة وأنى يجب أن أسعد باهتمامهما بالاستذكار!

ولست أفهم فى النهاية كيف تتحول مشاعر رجل من الحب الشديد والإخلاص إلى القسوة الشديدة والمشاعر العدائية؟ . أما ما يكاد يذهب بعقلى فهو كيف يتحول ابنائى عن حبى على هذا النحو؟ إننى أشعر بالضعف والعجز وقلة الحيلة وعدم الثقة فى أى إنسان وبأن حياتى لا معنى لها . . وأين العدالة فى ذلك؟



## ولكاتبه هذه الرسالة أقول

لقد كنت على استعداد لأن أتفهم موقفك حين أصررت على طلب الطلاق ورفض الأمر الواقع الذى أراد زوجك فرضه عليك بالإكراه المعنوى، لو كنت قد انطلقت فى ذلك من موقف مبدئى لزوجة أحبت زوجها وأخلصت له وساندته فى كفاحه حتى بدأ يجنى ثمراته، ثم رفضت بعد ذلك أن تشاركها فيه أخرى وانتصرت لكرامتها فى وجه ضغوط ابنيها العاطفية عليها للتنازل عن مطلبها وتحملت فى سبيل ذلك تبعات اختيارها ورضيت بها. إذ أنه بغض النظر عن أن يتفق معك الأهل والابنان فى ذلك أو يختلفوا فإنه فى النهاية موقف مشروع يجيزه لك الشرع والقانون اللذان يعطيان الزوجة حق الاختيار إذا أراد زوجها أن يتزوج عليها بين الاستمرار فى حياتها الزوجية معه وبين رفض ذلك والتمسك بالانفصال عنه.

لكنك ياسيدتى لم تطلبى الطلاق وتتمسكى به فى وجه كل الضغوط التى تعرضت لها للتنازل عنه من زوجك السابق وابنيك وأهلك انطلاقاً من رغبة حقيقية فى الانفصال، وإنما من منطلق



آخر مختلف تماماً، هو «الأمل» فى أن يدفع إصرارك العنيد على الطلاق، زوجك إلى التراجع عن زواجه بالأخرى وابنيك إلى اكتشاف أنهما لا يستطيعان الحياة بعيداً عنك. . فكأنما قد اعتمدت فى ذلك على سياسة دفع الأمور إلى حافة الهاوية التى تتبعها بعض الدول للضغط على الخصم فتحشد قواتها على الحدود معه وتتهياً للحرب ضده، لكى يتراجع عن موقفه ويقبل بما لم يقبل به من قبل بالوسائل السلمية.

وهو رهان خطير لا يقدر عليه إلا من يثق فى قدراته وحساباته ويعرف جيداً أن الطرف الآخر سوف يتراجع فى اللحظة الأخيرة قبل اندلاع الحرب.

وفى حالتك الشخصية فلقد كان هذا الرهان نفسه دليلاً على أنك لاترغبين فى الطلاق من زوجك وفقد ابنيك وإنما فى «الفوز» بهم جميعاً عند بلوغ الأمور بينك وبينهم حافة الهاوية أو حتى بعد السقوط فيها بقليل، وهو رهان خاسر أخطأت للأسف كل حساباته مع اعترافى لك بحقك العادل فى رفض مشاركة أخرى لك فى زوجك، ذلك أن دفع الأمور إلى الهاوية على هذا النحو سياسة لا يلجأ إليها إلا الطرف الذى يثق فى قوته من ناحية، وفى عجز خصمه عن الصمود للنهاية من ناحية أخرى. . وأنت ياسيدتى قد



أسأت تقدير عناصر القوة والضعف فى موقفك وموقف زوجك السابق، فلقد رأيت نفسك فى موقع القوة التى تسمح لك بدفع الأمور إلى هاوية الحرب، ورأيت زوجك السابق فى موقف الضعف الذى يدفعه للتسليم قبل انطلاق أول طلقة مدفع، مع أن واقع الحال كان كفىلاً بأن يلفت نظرك إلى أنه يتمتع فى صراعه معك بعناصر للقوة لم تتوافر لك للأسف منها استقطابه لابنيه فى صفه وثقته فى اختيارهما له دونك بعد الانفصال نظراً لعلاقته الوثيقة بهما وقدرته المالية على إغرائهما بالانحياز إليه دونك وارتباط مستقبلهما الدراسى والعملى به، إلى جانب قدرته على الحركة والفعل استناداً إلى مقدرته المادية التى لا تتوافر لك سواء قبلت بزواجه من الأخرى أو رفضت، إلى جانب وجود هذه «الأخرى» نفسها فى حياته وإمكان استغنائه بها عنك.. ولقد أُنذرك ابنك بأنهما سوف ينضمّان لأبيهما فى حياته الجديدة إذا تمسكت بمطلب الطلاق منه للنهية.. وهو إنذار قاس ولا إنسانى ويكشف عن خلل غير مفهوم فى علاقتك بهما.. لكنه فى الحساب العملى عنصر قوة لزوجك وعنصر ضعف فى موقفك..

فعلى أى شىء إذن بنيت حساباتك ووثقت فى أنك إذا تمسكت بالطلاق حتى النهاية بل وإذا حصلت عليه أيضاً فلسوف



يدفع ذلك زوجك إلى التخلي عن زواجه من الأخرى وابنيك  
إلى العودة لك؟

إن الطلاق سلاح خطير يؤثر تأثيراً فادحاً على حياة  
الزوجين والأبناء، ولهذا فإنه لا يجوز لعاقل أن يستخدمه  
كورقة ضغط للحصول به على تنازلات من الطرف الآخر  
مالم يكن راغباً فيه بصدق ولأسباب تنبع من نفسه وظروفه  
وليس من الأمل في أن يدفع الطرف الآخر للقبول بما كان يرفضه  
من قبل - كما أنه ليس من الحكمة أن يتخذ الإنسان موقفاً يعتمد فيه  
على «الأمل» في الآخرين وليس على حسابات واقعية تتعلق به  
وتصدر عنه.

فإذا كنت تتساءلين عن العدالة في كل ذلك فإنني أقول لك إن في  
الحياة من صور الظلم الإنساني والبعد عن روح العدالة الكثير . . كما  
أن فيها من صور العدل الإلهي والخير الكثير أيضاً . . وليس  
سؤالك عن العدل هو الأجدى بالتوقف عنده . . ولاسؤالك  
أيضاً عن كيف تتحول مشاعر رجل من الحب الشديد إلى  
القسوة المفرطة والعدائية . . لأن تحول المشاعر وارد وفقاً لتطور  
العلاقات الإنسانية ومتغيراتها . . وإن كان من الثابت كذلك أن  
مشاعر الحب الحقيقي الصادق قد تنتهي ذات يوم أو تفر تبعا



للتطور الوجدانى للإنسان ودورة الأيام، لكنها أبداً لا تنقلب إلى نقائضها من الكره والحقد والعداء، وإنما ما يستحق التوقف أمامه بالفعل فهو سؤالك المفزع كيف يتحول ابنك عن حبك على هذا النحو المؤلم!

والحق أننى قد أفهم تأثير الاعتبارات المادية والمستقبلية على قرار ابنك الانحياز لأبيهما وتفضيل الحياة معه بعد الانفصال عنك، لكنى لا أفهم أبداً ألا يتعاطف ابنك معك فى نزاعك مع أبيهما قبل الانفصال ولو باتخاذ موقف الحياد بينكما، ولا كيف يضغطان عليك للقبول بالأمر الواقع ولا يبدلان فى الوقت نفسه مساعيهما هذه مع أبيهما لكى يعدل عن قراره بالزواج من أخرى.. ولا تفسير لهذا الموقف المؤلم سوى أنه يكشف عن نوع من الخلل فى علاقة هذين الابنين بك وعلاقتك بهما، وعن أن حياتهما بينك وبين زوجك السابق لم تكن فيما يبدو خالية تماماً من بعض ما يدفعهما لتقبل فكرة زواج أبيهما من أخرى وعدم الانزعاج لها.. وفى كل الأحوال فإن الخسارة الإنسانية فيهما قاسية لأم مثلك مهما كان موقفها من أبيهما أو موقفه منهما.. ومن حقك أن تشعرى بالحسرة والألم وضياح كل شىء من يدك بسبب قسوة الأيام وسوء الحسابات.. وتقلب القلوب.. بكل أسف!







أنا سيدة فى الرابعة والثلاثين من عمرى . . ولى قصة أريد أن أرويها لك وأن تشاركنى فيها . . فأنا أقرأ بريد الجمعة منذ أكثر من عشر سنوات . . وكثيراً ما فكرت فى الكتابة إليك فى مواقف عصيبة عديدة شهدتها حياتى إلى أن جاءت الآن اللحظة المناسبة . . ولأبدأ من البداية فأقول لك إننى نشأت بين أبوين طيبين وشقيق يكبرنى بعامين . . أما أبى فإنه رجل جاد فى حياته . . وشغل مناصب قيادية ويمزج بين الشدة والحنان فى تعامله مع أفراد أسرته، وأما أمى فربة بيت جامعية تؤمن بزوجها فى كل شىء ولا ترى رأياً مخالفاً لرأيه وقد تفرغت لأسرتها منذ ارتبطت بأبى . . ونعم الاثنان معاً بحياة زوجية موفقة .

وفى بداية مرحلة الدراسة الجامعية . . خفق قلبى لأول مرة لشاب من أبناء الجيران وارتبطت به عاطفياً . . وعانيت مرارة الإحساس بالذنب تجاه أبى وأمى لخيانتى لثقتهم فىّ، وأردت أن أتخلص من هذه المعاناة بعد تعمق الحب فى نفسى فصارحت أمى بتعاهدى مع هذا الشاب على الزواج عقب التخرج . وطلبت منها أن تمهد لى عند أبى لكى يقبل بقراءة الفاتحة بين أسرتى وأسرة هذا الشاب . . لكى يصبح حبنا علنياً ومشروعاً . . فنتقابل تحت أعين أسرتينا . . بدلاً من لقاءاتى



المختلصة معه فى الشوارع أو فى بيوت الجيران المشتركين خلال زيارتى لصديقاتى بها.

ففوجئت بشورة أمى العارمة ضدى ورفضها القاطع لهذا الاختيار. . وتهديدها لى بفضح سرى لدى أبى لكى يعاقبنى عقاباً صارماً على فعلتى. . وانهرت وسألتها عن سبب هذه المعارضة الحادة فأجابتنى بأن هذا الشاب وإن كان من أسرة طيبة إلا أنه من فرعها الفقير ولا يملك شيئاً ويعيش مع أمه على معاش أبيه ولن يستطيع حتى ولو انتظرته عشر سنوات كاملة أن يدبر إمكانيات الزواج، وبكيت لأمى كثيراً ورجوتها أن تقف إلى جانبى بدلاً من أن تستعدى على أبى، وصارحتها بأننى أحبه منذ سن السابعة عشرة وأنه متدين ومستقيم وطيب ويتحمل مسؤوليته عن أمه ويعمل فى الأجازة الصيفية ليوفر مصاريف دراسته. . وأنه ليس ذنبه أن أباه قد مات وهو فى الخامسة عشرة ولم يعد له نصير فى الحياة. . ولسوف يكافح ويسافر بمجرد تخرجه بعد شهور للعمل فى الخارج ويبنى مستقبله إلخ. . فلم يؤثر استعطافى لها شيئاً. .

وتصاعدت الأمور بعد ذلك سريعاً وفوجئت بأبى الذى لم يضربنى ذات يوم، ينهال على بالضرب المبرح ويمنعنى من الذهاب للجامعة بل ويأتى بنجار ليغلق نافذة غرفة نومى التى تطل على



مسكن الشاب، ولم يكتف بذلك وإنما هددته بالضرب والإيذاء إذا لم يكف عن محاولة الاتصال بى . .

وبعد أيام سمح لى أبى بالخروج وتوجهت للجامعة . . وأنا خائفة . . والتقيت بهذا الشاب . . فصارحنى بأنه مازال يتمسك بى ويعرف أنه لن تكون له حياة مع أية فتاة أخرى سوى . . لكنه لا يريد لى الأذى ولهذا فإنه سوف يقطع كل صلة له بى حرصاً علىّ، وسيظل فى نفس الوقت مقيماً على حبنى وسيظل نظره معلقاً دائماً بالنافذة المغلقة ليشعر بأنه معى فى كل وقت . . وبكى فى الشارع وهو يقول لى إنه يعذر أبى فى هياجه عليه إذ ماذا يملك شاب يتيم فقير مثله لكى يقدمه لابنته؟ وبكى معه . . وأقسمت له أنه لن يمسنى بشر سواه، وأننى سأظل أنتظره إلى أن يتغلب على ظروفه ويتقدم لى ولو بعد عشر سنوات، ورفضت كل محاولاته لإعفائى من هذا العهد . . وافترقنا وأنا أذكره بعهدى له . . وأطلب منه أن يراقب نافذة غرفتى كل ليلة لكى يتلقى منى تحية المساء . . وهى إطفاء نورها وإضاءته ثلاث مرات متتالية . .

وعدت إلى حياتى بعد ذلك وكففت تماماً عن الإشارة لموضوع هذا الفتى مع أمى واكتفيت بتسقط أخباره عن طريق صديقاتى من



بنات الجيران حيث يزور إخوتهم . . ويعرفنه جميعاً ويحترمنه . .  
وواظبت على تحية المساء كل ليلة فى موعدها .

وفى عامى الجامعى الأخير تقدم لى شاب ممتاز من أقارب أمى  
فرفضته بلا تفكير . . ورفضت مجرد الحديث فى موضوعه ، وثارت  
أمى علىّ واتهمتني بأننى مازلت على صلة بجارنا الشاب . . وأبلغت  
أبى بشكوكها فهاج من جديد وانهال علىّ ضرباً وركلاً حتى أصبت  
بالإغماء . وتوجه إلى بيت هذا الشاب وانهال عليه وعلى أمه سباً  
ولعناً وتمادى لأكثر من ذلك فصفعه صفقة مدويةً أمام أمه . .  
وصرخت الأم باكية فهذاً ابنها من روعها ولم يفقد أعصابه ولم يزد  
عن أن قال لأبى إنه يظلمه وإن الله سبحانه وتعالى يعلم أنه مظلوم  
ولهذا فهو يفوض أمره إليه وحسبه الله وهو نعم الوكيل ، كما أنه لن  
يخرج على حدود الأدب معه حتى ولو خلع حذاءه وضربه . فُبُهِت  
أبى وانصرف مضطرباً وروى لأمى كما عرفت فيما بعد ما حدث  
وقال لها إنه يشعر بالخوف من نظرة القهر والغلب فى عين هذا  
الشاب بعد أن ضربه . . فانعقد لسانه وهرب خارجاً من مسكنه وهو  
يُشفق على نفسه من أن تدعو أمه عليه بسوء . . وانتهت هذه الأزمة  
فى النهاية برفضى للخطيب المرشح لى . . وبعد عام آخر تكررت  
القصة بنفس تفاصيلها ورفضت خطيباً آخر بإصرار دون إبداء أية



أسباب، وهاجت أمى وأبى من جديد وكررا نفس الاتهام لى بأننى مازلت على علاقة بجارى الشاب.. وانهاى على أبى مرة أخرى ركلاً وصفعاً، وبالرغم من ندمه على ما فعل مع هذا الشاب فى الأزمة السابقة فلقد كرر نفس المأساة وتوجه إلى بيته وانهاى عليه وعلى أمه بالتهديد والوعيد.. وفقد السيطرة على نفسه مرة ثانية وصفع فتاى بقوة.. وهمّ بتكرار الصفع فأمسك الفتى بيده بقوة وقال له إنه قادر على الدفاع عن نفسه ورد الأذى بمثله لكنه لا يسمح لنفسه بذلك لأنه فى مقام والده.. وإكراماً للجيرة التى لم يرعها هو.. وإكراماً أيضاً لأنه والد الفتاة التى كان يتمنى من كل قلبه أن يتزوجها. ورجع أبى من عنده واجماً. وراح الفتى يكفكف دمع أمه وعيناه تدمعان حزناً وتأثراً.

وازددت إصراراً على موقفى...

وتخرجت فى كليتى وعملت بمساعدة أبى فى وظيفة إدارية فى إحدى شركات الفنادق الكبرى.. ووجدت نفسى قد تخطيت الرابعة والعشرين وأعمل، ومن حقى أن أفكر فى حياتى الخاصة.. فصارحت أمى بأننى لن أتزوج إلا من اختاره قلبى منذ سن السابعة عشرة وحرمت نفسى منه طوال السنوات الماضية التزاماً بوعدى لها ولأبى.. ورجوتها أن تستأذن أبى فى استقبال جارى مع أسرته



لطلب يدى . . خاصة وقد عمل بقرية سياحية بالغردقة . . وتحسنت ظروفه المادية بعض الشيء . . وأملت أن تكون الأعوام قد ألانت المواقف المتصلبة . . ففوجئت برفض أبى وإعلانه لى ولأمى أنه يفضل أن أصبح عانساً على أن يقبل زواجى من شاب تحدى إرادته! وعبثاً حاولت إقناعه بأن أحداً منا لم يتحد إرادته وأننا قد قطعنا علاقتنا بالفعل منذ أكثر من ٤ سنوات دون جدوى! وضقت بهذا الموقف المتعنت . . فلجأت إلى عمى وطلبت منه أن يستضيفنى عنده بعض الوقت . . وأن يتدخل بينى وبين أبى . . واستمع عمى إلى قصتى ووعدنى بمحادثته ولكن بعد أن يلتقى بجارى أولاً ويتأكد من أخلاقياته وجديته، وزار عمى بيت جارى خلال إجازته الشهرية من عمله بالغردقة وجلس إليه وإلى أمه واستمع منهما لما فعله بهما والذى على مدى ٣ سنوات وأكثر . . وتأثر بظروف هذا الشاب والتزامه الخلقى وبره بأمه وصبره على ماناله من أبى . . ووعدته بمساندته والتقى بالفعل بأبى وصارحه بأننى أرغب هذا الشاب وأنه لا شىء يمنعنى من الزواج منه ضد إرادته إلا رغبتى فى ألا أخرج عن طاعته، وأنه من الحكمة أن يكون مرثاً معى لكيلا يدفعنى دفعاً لشق عصا الطاعة عليه، وزكّى فتاى عنده، وشاركه أخى الوحيد الذى كان قد حصل لتوّه على الماجستير فى هذا المسعى وشهد لأخلاقياته واستقامته . .



وبعد عذاب وعناء قبل أبى بزواجى من هذا الشاب قبول الكاره المضطر، وقيد موافقته بأنه لن يجهزنى للزواج ولن يشتري لى أى أثاث إلا بعد أن ينجح هذا الشاب فى الحصول على شقة مستقلة عن مسكن أمه . . وأيدته أمى فى موقفه المتحفظ بدعوى اختبار صدق نية فتاى تجاهى وأنه ليس طامعاً فى مال أبى !

وتمت خطبتى له فى أضيق الحدود وبحضور عمى فقط من أهل أبى، وبدا أبى خلال حفل الخطبة واجماً متحفظاً وكذلك أمى . . لكن فرحتى بالرغم من ذلك كانت طاغية .

وسعيت لدى مديرى لنقل خطيبى من القرية السياحية التى يعمل بها فى الغردقة إلى الشركة التى أعمل بها . . ووفقنى الله فى مسعاى بعد أن علم مديرى بقصتنا القديمة وقابل خطيبى واقتنع به وبمؤهلاته .

ولم يسترح أبى لوجودنا فى نفس المكان فطالب خطيبى بعقد القران على وجه السرعة . . وعقدنا قراننا فى نفس الجو المتحفظ، وبعد القران بعدة أسابيع سألت نفسى عما يدعونى للانتظار أعواماً أخرى حتى يستطيع خطيبى توفير مسكن مستقل لنا، وفى مقدورى أن أقيم معه فى شقته القديمة وهى واسعة ومريحة وأمى سيدة طيبة وتحبنى وتشفق علىّ مما تحملته من أجل ابنها . . وأستأذنت



أبى فى ذلك على استحياء فقال لى فى ضيق افعلى ما تشائين  
بنفسك . . فلقد يثت منك نهائياً!

وبالرغم من تصريحه لى بالانتقال إلى بيت زوجى إلا أننى  
كرهت كعادتى أن أفعلى شيئاً لا يرضى عنه رضاءً تاماً . . وتمسكت  
بالأخرج من بيتى إلا حين يأذن لى ذلك بنفس راضية، وحدثت  
أبى فى الأمر . . فأعلن لى موافقته واشترى على وجه السرعة بعض  
الملابس والأدوات المنزلية . . وأدوات المطبخ . . . والعطور إلخ كأنما  
قد عزّ عليه فى اللحظة الأخيرة أن أؤف إلى عريسى بلا أى جهاز  
وكرر لى وعده بأن «حقى» محفوظ عنده وأنه سوف يؤثث لى  
المسكن الجديد حين نحصل عليه . ولم أتمالك نفسى حين قال لى  
ذلك فارتيمت على صدره وأنا أقبله وأشكره ودموعى تسيل وهو  
ينظر إلىّ فى حرج كأنما لا يصدق أننى مازلت أحبه بعد ماجرى  
بيننا، فقلت له وكيف لا أحبه بالرغم مما حدث وهو أبى . . وسندى  
وعزى . . ومرجعى الذى أرجع إليه فى الملمات ولم يفعل ما فعل إلا  
حرصاً علىّ؟ فدمعت عيناه وأقسم ألا أنتقل إلى بيت زوجى إلا بعد  
حفل عشاء يقيمه لى فى أحد الفنادق، وبعد أن أرتدى فستان الزفاف  
الأبيض . . ثم أعطى أمى مبلغاً من المال وطلب منها شراء فستان  
لى، وحدد يوم الخميس لحفل العشاء وارتداء فستان الزفاف،



واجتمعنا ٢٠ شخصاً فى حفل عشاء بفندق كبير وارتدى خطيبى بدلتة الجديدة.. وجلست إلى جواره ونحن نظير من السعادة، وفى آخر الليل توجهنا إلى مسكنه وبدأت حياتى الزوجية معه. ولن أطيل عليك أكثر من ذلك.. وإنما سأقول لك فقط إننى عشت ومازلت أعيش أجمل أيام حياتى مع زوجى الذى تحملت الضرب والإهانة من أجله.. وتحمل هو الإساءة والأذى من أجلى ولم تتغير مشاعر كل منا أو يفقد أمله فى الآخر.

وعلى عكس كل ما قيل لى من تحذيرات طويلة من الحياة المشتركة مع والدة زوجى، فلقد وجدت معها راحتى وأمانى ونعمت بعطفها علىّ وحبها لى وتقديرها لتمسكى بابنها.. فضلاً عن أنها سيدة طيبة وحكيمة ولا تتدخل فيما لا يعنىها وتراعى دائماً خصوصياتى..

ولقد أنجبت بعد حوالى عامين من زواجى طفلاً جميلاً لم يتردد زوجى فى موافقتى على تسميته باسم أبى، وأنجبت بعد عامين آخرين طفلة رحبت بشدة بتسميتها على اسم والدته.. التى تحملت معظم عبء رعاية الوليد الأول عنى.. وأضافت رعاية المولودة الجديدة إلى مسئوليتها.

والحمد لله على كل شىء.. فابنى الآن فى الثامنة من عمره



وأخته فى السادسة وهما متعة أبى الأولى فى الحياة الآن.. كذلك  
أمى، أما زوجى الذى كان مرفوضاً منهما من قبل فلقد أصبح أقرب  
الناس إليهما خاصة بعد سفر أخى الوحيد للخارج للحصول على  
الدكتوراه منذ عامين، وهو الذى يلبي مطالبهما ويقضى مصالحهما،  
ويعاملهما بحب واحترام.

وأما الشقة القديمة التى تزوجنا فيها فلقد أقنعت زوجى بأن ما  
ندخره للحصول على مسكن جديد.. فإن ابنى وبنتى أحق به..  
لأننى أشعر بالراحة فيها فضلاً عن قربها من مسكن أسرتى الذى  
يتيح لى زيارة أبى وأمى كل يوم.

ولقد سمعت بحماس أبى لرأى هذا بالرغم من موقفه السابق  
من مسألة الشقة.. وهكذا فقد جددنا الشقة القديمة ببعض  
مدخراتنا حتى أصبحت كالعروس. وغطينا الأرض بالسيراميك  
وجددنا الحمامين.. وأعدنا طلاء الجدران.. فإذا بأبى يقول  
لى إنه يعتبر ما حدث تنفيذاً لشرطه السابق علينا لكى يؤثث لى  
مسكنى.. وإذا به يشتري لى أثاث ٤ غرف ممتازة، وكان يوماً  
سعيداً يوم وقفت سيارة نقل الموبيليات الكبيرة أمام بيتنا.. وراح  
الحمالون ينزلون جهاز العروس الذى تزوجت قبل عدة سنوات..  
ويأخذون بدلاً منه الأثاث المتهاالك، وازددت حباً لأبى وأمى  
وسعادةً بزوجى وولدى.



أما عن زوجى فنحن متفاهمان فى كل شىء... والحب القديم الذى جمع بيننا منذ الصبا ازداد عمقاً ورسوخاً... وكلما اختلفنا حول أى خلاف عابر تذكر كل منا ما صبر عليه من أذى وحرمان من أجل شريكه فيذوب الخلاف... ويعود الصفاء ولقد كتبت لك رسالتى هذه بعد أن انتهت كل المشاكل لكى أقول لك إننى قد قرأت فى بريدك عدة رسائل لفتيات تحدين أهلن وتمسكن بشبان أجمع الأهل على أنهم لا يصلحون لفتياتهم وأن عيوبهم ظاهرة ولا تخفى على العيان فشققن عصا الطاعة عليهم وتزوجن منهم، ثم لم تمض سنوات حتى صدمن فى شخصيات أزواجهن الذين هجرن الأهل من أجلهم، وتجرعن كؤوس الشقاء معهم... ولئن أنفسهن أنهن لم يستمعن لنصيحة الأهل فى الوقت المناسب بعد أن خفت حدة العاطفة وظهرت المشاكل والشخصيات الحقيقية... كما قرأت تعليقاتك على هذه الحالات بأن هذا ما يحدث بالفعل فى حالات كثيرة من حالات الزواج التى تشق فيها الفتيات عصا الطاعة على آبائهن وأمهاتهن ويتزوجن على الرغم من إرادتهم لكى يضعنهم أمام الأمر الواقع، ويخلفن المرارة والأسى فى نفوسهم تجاه بناتهم اللاتى أحبوهن وطلبوا لهن السعادة والأمان... وأن من واجب الفتيات والأبناء إذا اختلفت وجهات نظرهم مع رأى الأهل فيمن يرغبون فى الارتباط بهم... ألا يأسوا أبداً من الأمل فى نيل رضا الأهل عن



اختياراتهم فى الحياة.. . وألا يقصروا فى طلب قبولهم لشركائهم فى الحياة حتى ولو لم يكونوا على اقتناع كامل بهم لكى يبدأ الأبناء حياتهم الجديدة مسلحين برضا الأهل وتمنياتهم لهم بالتوفيق والسعادة.

والحق أننى أؤكد فى ذلك وأؤكد لك بأننى أشعر بأن كل ما أصابنى من توفيق فى حياتى الزوجية وفى عملى إنما يرجع إلى إصرارى على ألا أخرج على طاعة أبى وأمى، وألا أتزوج من فتاى إلا بعد قبولهما له حتى ولو لم يكونا مقتنعين اقتناعاً كاملاً به، كما يرجع أيضاً إلى صبرى على أبى سنوات طويلة إلى أن لان موقفه من زوجى وقبل به.. . ثم رضى عنه، إلى جانب دعائى المتصل إلى الله سبحانه وتعالى أن يجمع شملنا أنا وفتاى فى حياة مشروعة يرضى عنها الله ورسوله.. . وكذلك دعاء فتاى وصلاته وصومه.. . وتكفينى سعادتى الآن وأنا أرى زوجى وهو يخاطب أبى «يا عمى» عن حب حقيقى واحترام، وسعادتى بكلمات أبى وأمى عنه وكيف أن الأيام قد أثبتت لهما أن الأصل الطيب والأخلاق الكريمة وحسن المعاملة أهم من كل مال الدنيا.. .

كما كتبت لك أيضاً لكى تشكر عنى أبى وأمى عن كل ما قدماه ويقدمانه لى حتى اليوم من حب ومساندة.. . واحترام لزوجى



ووالدته . . وأرجو أن تتمسك برأيك دائماً فى عدم تفضيل خروج  
الأبناء على طاعة الأهل . . والإصرار على أن يكافحوا للنهاية لنيل  
رضاهم ومباركتهم لاختياراتهم فى الحياة كما فعلت أنا . . والسلام  
عليكم ورحمة الله وبركاته .



كان الإمام ابن حزم الأندلسي يقول: «أسرع الأشياء نمواً أسرعها فناً، وأبطؤها حدوثاً أبطؤها نفاداً وما دخل عسيراً لم يخرج يسيراً!»!

وكان الكاتب الإنجليزي الثائر توماس مان يقول «إن ما نحصل عليه بثمان رخيصة قد ننظر إليه بغير اهتمام كبير، أما ما نحصل عليه بالثمان الغالي فهو دائماً ما يستحق منا الاهتمام والتكريم».

ولهذا فلا عجب ياسيدتي في أن تقبضي أنت وزوجك على الجمر لكي تحفظا عليكما سعادتكما وحبكما بعد أن كافحتما كفاحاً مريراً لتتويجه بالزواج وقبول الأهل... وراحة الضمير لعدم خروجكما على طاعة الأبوين بالرغم من طول الصبر والانتظار.

والحق أنني أتفق معك تماماً في أن أحد أسباب توفيقك في حياتك الزوجية والعملية هو إصرارك على ألا تشقى عصا الطاعة على أبيك. وألا تتزوجي ممن اختاره قلبك على غير إرادته... بالرغم



من طول الصبر وبالرغم أيضاً من إتاحة مثل هذا الاختيار أمامك خلال سنوات الانتظار.. فلاشك فى أن السعادة التى يحققها المرء لنفسه على حساب تعاسة أقرب الناس إليه وإيلاهم نفسياً وتمرده عليهم تكون دائماً سعادة منقوصة، أو سعادة يكدرها إحساس أصحاب الضمائر بالذنب تجاه أعزائهم، وكثيراً ما تصطدم مثل هذه السعادة الناقصة بسوء التوفيق فى الحياة، ويجهد المرء نفسه لكى يحاول فهم أسبابه فلا يقوده تفكيره غالباً إلا أنه محروم من مباركة الأهل لحياته وتمنياتهم الطيبة له.

على أنى قد أضيف إلى أسباب توفيقك فى حياتك العائلية إلى جانب اعتصامك بالصبر إلى أن تنال رضا أبويك عن اختيارك لشريك الحياة، سبباً آخر هو أن هذا الاختيار من الأصل لم يكن اختياراً متعارضاً مع أحكام العقل أو الدين، وإنما توافقت فيه أحكام القلب مع أحكام العقل، فالفتى لم يكن يعيبه فى نظر أبويك سوى قلة إمكاناته المادية وظروفه الإنسانية كشاب يتيم لا سند له فى الحياة، فى حين تتوافر فيه على الجانب الآخر كل المؤهلات الأخرى التى ترشح الحياة المشتركة معه للنجاح والتوفيق من طيب العنصر وكرم الأخلاق والاستقامة الشخصية والتدين وحسن المعاملة،



والقدرة على ضبط النفس والالتزام بالسلوك المهدب فى أشد لحظات الانفعال . . ولقد تجلت فضائله هذه حين اعتدى عليه والدك أكثر من مرة، فكيف لا ترشحه هذه المؤهلات الأخلاقية إلى جانب حب كل منكما للآخر للسعادة والتوفيق معك؟

لقد أعجبني فى قصتك إصرارك الذى لم يضعف على ألا ترتبطى بفتاك إلا عن رضا من الأهل على اختيارك لحياتك ولو طال بك الصبر والانتظار سنوات وسنوات .

فكأنما كنت تعملين بنصيحة العقلاء فى كل زمان ومكان . . . والتى عبر عنها زعيم الهند الروحى المهاتما غاندى بقوله :

« لا تسلك إلى الهدف السليم إلا الطريق السليم » .

ولا غرابة فى ذلك، لأن الغاية الشريفة ينبغى ألا يتخذ الإنسان للوصول إليها سوى الوسائل الشريفة وإلا أساء إلى نبل مقصده وإلى نفسه وإلى الآخرين .

كما أعجبني فى قصتك أيضاً أن والدك قد غلب فى النهاية نداء الحكمة على نداء العناد وصلابة رأى، فسلم باختيارك بغير أن يدفعك دفعا إلى شق عصا الطاعة عليه، وإن كان هذا التسليم قد تأخر طويلاً حتى عتبت عليه إيذاءه البدنى لك أكثر من مرة، وعتبت عليه أكثر تهوره على فتاك الشاب الوحيد اليتيم المغلوب على أمره



حتى ليمد إليه يده بالأذى . . فلا يفقد الآخر سيطرته على نفسه ولا يرد عليه الأذى بالمثل، غير أنه لا لوم ولا عتاب الآن وقد تغيرت المواقف . . وكلل الحب الشريف بالزواج الموفق، وانتصر الحب الأبوى آخر الأمر فى قلب أبيك على عناده وتهوره السابقين وتكشف فى النهاية عن أب يحرص على سعادة ابنته ويفيض قلبه بالحب والعطف عليها، وعن رجل يحترم كلمته لها فيفى لها بوعده الذى قطعه على نفسه ويؤدى إليها «جهازها» بعد سنوات من الزواج والإنجاب، ويسعد بسعادتها ويحنو على طفلها ويرى فيهما امتداداً له ويمحو من نفسه كل آثار المرارة السابقة تجاه زوجها ويعتبره ابناً ثانياً له ويبادل له الابن الجديد حباً بحب واعتزازاً باعتزاز .

أما دعاؤك إلى ربك أن يجمع الله بينك وبين من أحببت فى حياة مشروعة يرضى عنها الله سبحانه وتعالى ورسوله، فلقد استجاب له ربك وأنعم عليك برفقة من تحبين والتوفيق معه وإنجاب الذرية الصالحة منه، ورضا الأبوين عنك ومباركتهم لحياتك وسعادتك وكيف لا يستجيب الله جل وعلا لدعاء القلوب المخلصة كقلبك . . وقلب فتاك وهو من قال عنه الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه فى الحديث الشريف ما معناه: «من لم يسأل الله يغضب عليه»



حتى لقد كان أحد الصالحين يردد دائماً في دعائه: «يا من تغضب  
على من لا يسألك لا تمنع عني ما قد سألتك»!

فهنيئاً لك ياسيدتي سعادتك وسلامك النفسى ورضاء أبويك  
عنك، وتذكرى دائماً أن ما نحصل عليه بالعناء وبالثمن الغالى من  
أيامنا وليالينا ينبغى لنا دائماً أن نتمسك به ونذود عنه عواذى الأيام  
وتقلبات الأهواء، وشكراً لك على رسالتك الجميلة.



أبعث إليك برسالتى هذه لأحیی صاحبة رسالة «شهوة الانتقام» لإيجابيتها المطلوبة، وفهمها العميق لواجبات وظيفتها تجاه أبنائها الصغار.. فأنا يا سيدى طبيب نفسى منذ ٢٥ عاماً، وكان موضوع رسالتى للدكتوراه «الصحة النفسية عند الأطفال وحتى البلوغ»، وعلى مدار سنوات عملى الخمس والعشرين، لم أقابل ما هو أشد تأثيراً على الأطفال فى طفولتهم وحتى سن البلوغ أكثر من تبعات الانفصال السيئة لأبويهم، لا أتحدث عن الانفصال نفسه، بالرغم مما نعرفه جميعاً من التأثير السيئ والسلبي لانفصال الزوجين على الأطفال، وإنما أركز حديثى على التبعات السيئة وردود الأفعال غير المسئولة التى يقوم بها أحد الزوجين السابقين تجاه الآخر، مستخدمين فى ذلك أطفالهم دروعاً بشرية تارة، وسيوفاً يغمدونها فيمن كانوا شركاء حياتهم تارة أخرى. إننى مع القول الذى يؤكد أنه إذا ما كانت الحياة الزوجية من الشقاء والتعاسة بحيث يستحيل معها أن يعيش الزوجان معاً.. فلا بأس بالطلاق لحماية الطفل من الحياة فى منزل ملئ بالمشاكل إذ إنه ليس هناك أسوأ من نمو طفل فى جو ملئ بالكراهية، ولكنى أقصد بالانفصال هنا الانفصال النبيل الذى يقلل كثيراً من التأثيرات السلبية على الأطفال.. وبحكم سنوات عملى السابقة فإننى أقول إن الزوجين إذا تم بينهما الانفصال فى



السنوات الأولى وهناك أولاد بينهما فإنه بحكم الحضانة سيكونون مع أمهم، التى لها تأثير خطير على التكوين النفسى لهم، وللأسف الشديد فإن أكثر من ٨٠٪ من الحالات التى أباشرها لأبناء فى سنوات المراهقة تكون فيها الأم قد لعبت دوراً مدمراً لنفسية أطفالها بتشويه صورة الأب لديهم، ولهؤلاء أقول: إن الطفل مكوّن من جزء من أبيه وجزء من أمه وهو نفسياً وجسدياً نبت ونما من أرضهما، وكلاهما يتمتع عنده بمكانة المثل الأعلى، فإذا حاول أحد أن يقنعه بأن أباه ملئ بالعيوب، فلا بد وأن الطفل سيقنع أيضاً أنه شخصياً يحمل هذه العيوب والنقائص، لأن الولد مثل والده، هذا ما يعرفه الابن تماماً.

إن الاتهامات التى يقولها كل طرف عن الطرف الآخر بعد انفصالهما لأولاده.. تؤذيهم وتجعلهم يكرهون الحياة نفسها، ويحتقرونها، لأن أسرهم بهذه الصورة، مما يوقعهم فى براثن كراهية الطرفين معاً الأب والأم، ويتعذبون لأنهم فى الوقت نفسه يحبونها.

والأكثر سوءاً من كل ذلك هو الحالة التى يرتكب فيها أحد الوالدين جريمة حرمان الطرف الآخر من رؤية الابن، والتسبب فى أكبر قدر من الآلام له وإذلاله. إن كل طرف يجب أن يترفع عن



مثل هذه التصرفات الطائشة إذا كان مقتنعاً تماماً بالحقيقة الواضحة. وهى أن الابن جزء من أبيه وأمه، وأنه يحتاج إليهما فى الوقت نفسه.

إننى أوجه كلمة إلى الأم كاتبة رسالة شهوة الانتقام «بحكم حضانتها للصغير»، إن عليها أن تلعب دوراً حكيماً، وهو ليس دور المظلومة التى تبحث عن العار لتصبه على رأس زوجها السابق أو التى تحاول أن تنال عطف طفلها عليها وسخطه على أبيه. . وإنما دور الإنسانية المتزنة التى تفهم الأمور، إنه الدور الذى تتحاشى فيه اتهام الأب بأنه فى جوهره وأساسه شخص سيئ، لا ينبض قلبه بالحب، بل يجب أن يعرف الطفل من أمه بأن أباه له صفات تحب فيه معظم الناس. . وأشد ما يحتاجه هذا الطفل هو أن يسمع أن أباه أحبه، ومازال يحبه، ولكى تصل الأم لذلك، فيجب عليها أن تضع حبها لطفلها فوق كرهها لأبيه وسخطها عليه، إن فكرة الابن عن أبيه هى نفس الفكرة التى يتخذها عن نفسه، وفكرة الطفل عن أمه هى نفس الفكرة التى سينظر بها إلى زوجته فى المستقبل، وكذلك فكرة الابنة عن أبيها هى نفس الفكرة التى ستنظر بها إلى الرجال فى المستقبل عندما تنضج، وفكرة الابنة عن أمها هى نفس الفكرة التى ستحاول أن تكون عليها زوجة فى المستقبل، ولهذا يجب ألا يقف الطلاق بين



الأبوين حاجزاً دون تكوين أحاسيس الحب فى قلوب الأبناء لآبائهم وأمهاتهم.

أكرر وأؤكد أن مصلحة الابن يجب أن تكون فى احترامه لأبويه، وأن ينال حقه الكامل من حبهما، وأن يستعمل كل طرف ذكائه الكامل لإرضاء الطفل نفسياً، ويتحقق ذلك عندما يستطيع أن يستمتع فعلاً بعطف ومصاحبة الطرف الآخر الذى لا يقيم معه إقامة كاملة.

إن الطفل يعرف تماماً أنه لا شىء فى العالم يستطيع أن يعرضه حنان الأب أو حنان الأم، وهذه هى الفكرة الأساسية التى يجب أن يقيس بها الأمور كل زوج منفصل أو زوجة منفصلة، ومؤسسات توجيه الأطفال والعيادات النفسية تؤكد أن الطفل الذى يفقد حب الأب أو الأم يعانى القلق النفسى والتوتر الدائم.

كما أنه يجب ألا نستخدم الأبناء كوسيلة لإلهاب الصراع عن طريق لى ذراع الطرف الآخر، ويجب أن يكون الأبناء بعيدين كل البعد عن الصراعات التى تنشأ بعد الطلاق، إن محاولات أى طرف أن يجذب إليه الأبناء عاطفياً، ويحصل على تأييدهم هى محاولات فاشلة ولا تثير لدى الأبناء إلا الاستخفاف والاستهزاء وربما الاشمئزاز، ولهذا يجب أن نحافظ على التوازن العاطفى لدى فلذات أكبادنا .



وبالرغم مما سبق، فإن كل ذلك لا يعنى أن أطفال الأبوين المطلقين لا يستطيعون أن ينموا نمواً سليماً آمناً، ولا أن يقيموا حياةً زوجيةً طيبة عندما يكبرون، فكثيرون منهم يفعلون ويفلحون، ولكن ينبغي أن يكون واضحاً جداً للأب والأم على السواء أن الأمر يتطلب جهداً غير عادى وفطنة وتبصراً وروحاً كريمة قوامها المودة والرحمة والترفع عما حدث لكل منهما، المهم هو أن يتحاشى كل طرف تحطيم صورة الطرف الآخر عند الطفل، فإن فعلاً ذلك فإنهما يلقيان بطوق النجاة لأطفالهما ويحميانهم من كثير مما يمكن أن يعانوه، ويستمر معهم حتى آخر حياتهم.

كلمة أخيرة للآباء والأمهات، اتقوا الله فى أولادكم فهم الحاضر والمستقبل، وأذكركم بقول الرسول الكريم ﷺ عن إحدى خصال المنافق «أنه إذا خاصم فجر» صدق رسول الله.



كلما تجدد الحديث عن جناية بعض الآباء والأمهات على أبنائهم باتخاذهم ساحة للصراع غير الشريف فيما بينهم . . . وسعى كل طرف منهم لاجتذاب مودة الأبناء إليه وغرس الكراهية في نفوسهم ضد الطرف الآخر . . . تذكرت كلمة أطلقها قاض أمريكي قبل أن ينطق بحكمه في جريمة بشعة ارتكبها شاب ضائع فقال إن كل جريمة تبدو للآخرين بلا دوافع مفهومة وراءها غالباً إنسان حُرُم في طفولته من الحب وإحساس الأمان في حياته العائلية . ولقد كتب الكثير عن آثار تمزق الأطفال بين الأبوين على معنوياتهم وتكوينهم النفسى ورؤيتهم للحياة . . . لكن دراسة حديثة قد كشفت عن أن هذه الآثار لا تقتصر على الجانب المعنوى والنفسى فقط ، وإنما قد تمتد أيضاً إلى ما هو أبعد من ذلك . فقالت الدراسة إن تعرض الأطفال للضغط العصبى بسبب الخلافات العائلية المتكررة قد يؤدي إلى انخفاض ملحوظ فى إفراز هورمون النمو لديهم وإلى زيادة إفراز هورمونات الضغط العصبى مما يضر بأجزاء من المخ تؤدي دوراً رئيسياً فى نمو ذاكرة الطفل وقدرته على التعلم . ذلك لأن هورمون النمو يتم إفرازه خلال النوم العميق ، وينخفض معدل الإفراز بسبب اضطرابات النوم التى يعانيها عادة



الطفل بسبب التوترات العصبية إثر خلافات الأبوين الحادة.. أو بسبب تمزقه بين حبه لأحد الأبوين وكراهيته للآخر، فضلاً عن أن هذه التوترات تضعف جهاز المناعة في جسمه، وتزيد من احتمالات الإصابة بالأمراض المعدية.

فإذا تذكرنا ما يقوله العلماء من أن التخلف العقلي ليس وراثياً فقط، وأن منه ما يرجع إلى أسباب تتعلق بالبيئة التي ينشأ فيها الطفل.. وأنه إذا نشأ إنسان في بيئة لا تساعد على تنشيط العقل فإن عقله لن ينمو بنفس المعدل الذي ينمو به عقل إنسان آخر نشأ في بيئة سوية، ويضربون لذلك مثلاً بالطفل الرضيع الذي تتولاه الذئاب وترضعه وترعاه فيشب شبه أبكم ولا يكاد يتميز إدراكه عن إدراكها في شيء كثير.. إذا تذكرنا كل ذلك لم نستبعد أن يكون للبيئة العائلية غير السوية التي ينشأ فيها الأطفال بسبب خلافات الأبوين المستمرة أمامهم.. وإشراكهم فيها.. أو استخدامهم كأداة في حروبها.. بعض الأثر الذي تتركه بيئة الذئاب على إدراك الرضيع الذي اختارت له الأقدار أن ينشأ بينها من الناحية العقلية فضلاً عن الآثار النفسية والتربوية والصحية الأخرى، فهل يدرك بعض الآباء والأمهات حقيقة ما يجنون على أبنائهم خلال انشغالهم في معاركهم العلنية أمام هؤلاء الأبناء. وخلال استخدامهم لهم في حربهم غير الشريفة ضد الطرف الآخر قبل الانفصال أو بعده؟.







أنا رجل فى السابعة والأربعين من عمرى.. أقيم فى مدينة كبيرة من مدن الأقاليم.. نشأت فى أسرة بسيطة متدينة.. وتشربت منها النفور من الحرام فى الفعل والقول والإشارة.. وأنهى تعليمى وعملت بإحدى الهيئات بمدينتى وساهمت مع أبى فى إعداد صغرى شقيقتى للزواج بعد أن ضعفت موارده فى شيخوخته، وشعرت بالرضا عن نفسى لإعانتى لأبى فى تلك المشكلة التى أقضت مضجعه.. ونعمت برضاه ودعواته الصالحة لى ودعوات شقيقتى الصغرى لى بالستر فى الدنيا والآخرة كما سترتها أمام أسرة زوجها.. ودعوات أمى الطيبة كذلك، وبسبب استدانى لمساعدة شقيقتى ظلت ٤ سنوات بعد عملى أعيش فى تقشف شديد وأحرم نفسى مما يستمتع به الشباب فى مثل سنى لكى أسدد أقساط الديون والجمعيات ولم أندم يوماً على ذلك.. بل إننى كثيراً ما شعرت بالاعتزاز وأمى تقول لى إننى ولدت رجلاً من البداية.. وتصرفت دائماً تصرف الرجال حتى وأنا طفل صغير.. ولسوف أظل دائماً رجل البيت إلى النهاية.. ورحل أبى عن الحياة بعد عملى بخمس سنوات داعياً لى بالستر والصحة وطول العمر.. واحتضنت أمى بعد رحيله وخففت عنها أحزانها ووحدها وأصبحت أباً لشقيقتى المتزوجات حتى لمن يكبرننى منهن فى



السن . . وحرصت على أن يظل بيت أبى مفتوحاً لهن يجدن فيه راحتهم . . ويجتمعن مع أبنائهن فى الأجازات والأعياد، ونستمع بالجو العائلى والحب الصادق الذى يجمع بيننا، وفى هذه الجلسات العائلية واصلت شقيقتى وأمى إلحاحهن علىّ بالزواج وراحت كل منهن ترشح لى فتاة تراها مناسبة لى، إلى أن استقر الاختيار على فتاة شهد لها الجميع بالأخلاق والالتزام الدينى والاحترام، ورفضت أن أتزوج فى مسكن أمى لكى يظل بيتها مفتوحاً لشقيقتى، ونجحت فى الحصول على شقة بالإيجار قريبة من بيت الأسرة، وبدأت حياتى الزوجية مع زوجتى وكانت أول امرأة فى حياتى فأحببتها بإخلاص وحرصت على إسعادها وراحتها . . وأصبح يومى يبدأ فى الصباح المبكر بتناول الإفطار مع زوجتى ثم نخرج معاً فتذهب هى إلى عملها . . وأذهب أنا إلى بيت أمى القريب لأحظى برؤية وجهها السمع . . وأفتح يومى بدعائها الصالح لى، فأجدها جالسة على «الكنبة» القديمة فى صالة الشقة وقد نهضت من نومها فى الفجر، واغتسلت وأدت صلاتها الطويلة وتلت أدعيتها المحفوظة لأبنائها ودعت لزوجها وأبويها بالرحمة والمغفرة وتناولت كسرة من الخبز مع بعض اللبن . . وانتظرت قدومى لأشرب معها القهوة فما أن أفتح الباب بالمفتاح الذى أحفظ به حتى تتهلل لرؤيتى وتستقبلنى بابتسامة الترحيب وتشعل موقد الكحول تحت «كنكة» القهوة المعدة سلفاً . .



وأجلس إلى جانبها.. وأسألها عن صحتها وأحوالها وأستمع بشرب القهوة والحديث معها لمدة نصف الساعة ثم أقبل جبينها ويدها وأنصرف إلى عملى وأنا مفعم بإحساس التفاؤل والابتهاج.

وهكذا كل يوم طوال الأعوام الماضية.. لم يغير من عادتى إلا بعض الظروف الطارئة كإنجاب زوجتى لطفلتنا الأولى ثم الثانية.. أو سفرى إلى خارج المدينة فى عمل.

وأما زوجتى فقد أحبت أمى وشقيقتى كما أحبهن.. وغبطتنى على علاقة الحب الصادق التى تجمع بيننا.. وأسفت كثيراً لأنها لم تستمتع بمثل هذه العلاقة العائلية الدافئة.. حيث ساد التباعد والفتور علاقات إخوتها ببعضهم البعض وعلاقاتهم بأبويهم. ومضت بنا الأيام وأنا سعيد بحياتى وزوجتى وأسرتى وتقدمت الابتتان فى مراحل العمر والدراسة.. ولم تشهد علاقتى بزوجتى أية مشاكل حقيقية.. ولم يتجاوز أى خلاف عابر بينى وبينها حدود الخلافات العادية التى تحدث بين الأزواج والزوجات، وسرعان ما تجد حلها خلال ساعات أو أيام على الأكثر، وكثيراً ما كنت أنا البادئ بالصلح حتى ولو لم أكن مخطئاً لحبى لها ولكرهى للجفاء والخصام بصفة عامة.. وفى كل مناسبة أشيد بزوجتى ورعايتها لابنتيها ولى، وفى



كل حين تشيد هي بي ، وبحسن معاملتى لها وحنانى معها وحرصى على بيتى وبتى ، وتفسر ذلك بنشأتى فى بيت متراحم متحاب على عكس نشأتها هي فى بيت تسوده الخلافات الحادة بين الأبوين .

وتحسنت أحوالنا المادية إلى حد كبير خلال رحلة العمر . . فازداد دخلى وارتفع مرتبها وبدأنا ندخر القليل لمواجهة نفقات بنتينا الطارئة ومدارسهما وزواجهما فى المستقبل . . وأصبحت حياتنا أنشودة من الحب والتعاون والتفاهم الزوجى . . وظل الحال على هذا النحو حتى بدأت ألاحظ على زوجتى منذ حوالى عام بعض التغيرات فى شخصيتها وتصرفاتها . . وكانت البداية أن لاحظت اهتمامها الزائد بنفسها . . كما لاحظت أيضاً أنها قد بدأت تتخفف من بعض احتشامها المعتاد كما بدأت تضع الماكياج الخفيف عند خروجها ولم تكن تستعمله من قبل إلا فى البيت . . وأخيراً بدأت ألاحظ جفاءها العاطفى معى وتهربها منى وسرحانها الطويل والتزامها الصمت معظم فترات وجودها بالبيت . . وفى جلستى الصباحية مع أمى شكوت لها من تغير أحوال زوجتى معى فخففت عنى ونصحتنى بزيادة الاهتمام بها وتخصيص وقت أكبر لها . . وفعلت ما نصحتنى به . . ولم يتغير الحال إلا قليلاً وعلمت أن أمى قد استدعتها ونصحتها بالاهتمام بى ووعدتها زوجتى خيراً .

وكان قد لفت نظرى كذلك أنها قد أصبحت تذهب إلى العمل



مبكرة عن مواعده الطبيعى بحوالى الساعة ولم تعد تنتظرنى لكى  
نخرج معاً كما كنا نفعل من قبل، فقررت ولا أدري لماذا أن أراقبها  
ذات يوم لأعرف إلى أين تذهب فى هذا الوقت المبكر وتتبعها عن  
بعد فوجدتها تتجه إلى عملها.. ولم تكن الساعة قد قاربت الساعة  
صباحاً، وتبعتها إلى العمل فوجدت بابه مفتوحاً ودخلت الإدارة التى  
تعمل بها فلم أجد أحداً. وفتحت مكتب مدير الإدارة لعلى أجد  
الساعى يقوم بتنظيفه وأسأله عن زوجتى فإذا بى أراها مع مدير  
الإدارة فى موقف غرامى يتبادلان فيه فيما يبدو تحية الصباح  
بالقبلات!

ولا أدري كم لحظة مرت على وأنا ذاهل عن كل ما حولى..  
ولأننى استوعبت ما حدث انقضضت عليهما وهما يرجواننى ألا  
أسىء فهم ما رأيت، ولولا أن تمالكت نفسى بعض الشئ لحدث  
مالا محمد عقباه ثم دفعت الخائنة أمامى وغادرت الإدارة ولم يكن قد  
أتى أحد أو شهد ما شهدته..

وفى البيت أجلسها أمامى وسألتها سؤالاً واحداً هو: لماذا؟ ماذا  
فعلت لك لكى تفعل بى ذلك.. فिम أسأت إليك لكى تطعنينى  
هذه الطعنة القاتلة؟ لقد عاملتك بالحسنى طوال زواجنا.. ولم  
أقصر فى حقك يوماً ما ولم أخنك.. ولم أر فى الدنيا كلها امرأة



سواك . . فلماذا؟ ولماذا لم تطلبى منى الطلاق إذا كنت لا تحبيننى ولا  
ترغبين فى مواصلة الحياة معى؟

ولم تجد ما تقوله سوى أنها مرت بحالة ضعف استغلها  
مديرها . . واقترب منها فيها فضعفت أمامه، وأنها كانت تأمل أن  
تقاوم هذا الضعف وتسترد نفسها وترجع لسابق مسيرتها معى . .

واتصلت بوالدتها ودعوتها للحضور وواجهتها أمامها وألقيت  
عليها يمين الطلاق وطلبت منها أن تصطحبها إلى بيتها وتركت لها  
الفرصة لجمع ملابسها، وحمدت الله أن الابنتين كانتا فى مدرستيهما  
فلم تشهدا هذا الموقف المخزى . . ورجعت الابنتان من المدرسة  
فوجدتانى مريضاً فى الفراش وحرارتى مرتفعة والعرق يتفصد منى  
وسألتا عن أمهما فأجبتهما بأنها فاجأتها نوبة مرض عصبية ونفسية  
وتستريح لبعض الوقت فى بيت أسرتها وأنها سوف تذهبان لزيارتها  
كل يوم جمعة إلى أن تشفى .

وانقلبت حياتى رأساً على عقب بعد هذا اليوم . . وظللت مريضاً  
سقيماً لا أقوى على مغادرة البيت ثلاثة أيام، ولاحظت أمى شرودى  
وحزننى حين زرتها بعد ذلك وسألتنى مراراً عما ألمَّ بى فلم أستطع  
أن أنطق بكلمة واحدة وبعد إلحاح منها ومن شقيقاتى صارحتهن  
بأننى قد طلقت زوجتى بسبب تغيرها معى وجفائها لى ولم أزد  
على ذلك كلمة أخرى، وبعد ذلك بأيام كررت على أمى السؤال عن



سبب الطلاق فغلبتني دموعي أمامها وأجبتها بعد أن تمالكت نفسي بعض الشيء... لأتني «رجل» يا أمي... كما كنت تقولين دائماً عني وأريد أن أظل كذلك إلى آخر عمري. ففهمت بغير كلام وبكت طويلاً وقبلتني في جبیني ودعت لي كثيراً بأن يخفف الله عني همي... وكفت عن الإشارة لهذا الأمر بعد ذلك نهائياً وإن كان الإشفاق يطل دائماً من عينيها كلما رأتني.

والآن ياسيدي فلقد مضت بضعة شهور على هذا الزلزال الذي هدم أسرتي وهزّ كياني كله... وقد لاحظ على الجميع حزني واكتئابي وهزال جسمي.

ولقد عرفت الابتان من أمهما وليس مني أننى قد طلقتهما، وتسألاننى عن السبب فألوذ كل مرة بالصمت العاجز... أو أقول لهما إن حياتنا معاً قد انتهت عند هذا الحد فلا تقتنعان، وتطالباننى بإقناعهما بسبب مقبول للطلاق خاصة أنهما طالبتان وقادرتان على تفهم هذه الأمور.

وأنا عاجز عن البوح لهما بالسبب الحقيقي للطلاق... ولا أريد لهما في نفس الوقت أن تظلماننى وتظنان بى القسوة على أمهما أو أننى ظلمتهما وظلمتهما معها... ولا أريد فى نفس الوقت أن أشوه صورة أمهما فى مخيلتهما وهما فتاتان فى مطلع سن الشباب... كما أننى لا أجد فى نفسى أى استعداد للصفح عن أمهما أو استئفاف



الحياة معها فى يوم من الأيام بعد أن طعنت قلبى وشرفى وكرامتى . .  
وبعد ما سمعته منها من اعترافاتها المؤسفة خلال المواجهة .

وأنا حائر حزين ويملؤنى الإحساس بالخذلان وأتساءل عما جنيته  
فى حياتى لكى أواجه مثل هذا الغدر الخسيس وأنا الذى مات أبى  
راضياً عنى وداعياً لى بالستر والسعادة فى الدنيا وكنت ومازلت باراً  
بأبى وشقيقتى وتدعو لى أمى كل يوم دعاءها الصالح . . فلماذا  
انكشف عنى غطاء الستر . . وتجرعت هذه الكأس المرة ياسيدى؟ .

إننى أريد أن أتخطى هذه المحنة وأواصل حياتى وأؤدى رسالتى  
مع ابنتى، فماذا أفعل معهما وهل أستجيب لضغطهما علىّ لكى  
أصارحهما بسبب الطلاق الحقيقى . . وهل يمكن أن أبدأ حياة جيدة  
حقاً بعد هذا الزلزال الذى هدّ كيانى؟!



## ولكاتب هذه الرسالة أقول

من نكد الدنيا أن يكون الإنسان ضحية لغيره ثم يجد بين أقرب الناس إليه من يظنون به القسوة على من جنى عليه، أو أن يساء إليه أبلغ الإساءة فلا يقدر على التصريح بحقيقة ما تعرض له من أذى ويحاسبه الآخرون على رد فعله لما يتكتمه هو في صدره حرجاً منه أو رعايةً لاعتبارات تربوية وإنسانية أهم لديه من اعتباراته الشخصية، وفي كل هذه الأحوال فلسوف يعقل المرء لسانه عن البوح بما يكابده لأنه إن لم يفعل ذلك آذى مشاعره الشخصية قبل أن يؤذى الآخرين وأساء إلى نفسه وأعزائه قبل أن يسيء لمن أخطأ في حقه.. فكأنما يكابد ذلك الظلم المضاعف الذي أشار إليه الشاعر العربي في قوله:

ولم أر ظلماً مثل ظلم ينالنا

يُسَاء إلينا ثم نؤمر بالشكر

أو بالصمت وكلاهما مر، لكنه لا حيلة لأصحاب النفوس الكبيرة سوى تجرع الصمت في مثل هذه الظروف الشائكة ولا مفر أمامهم من الاعتصام به حفظاً للحرمان ورعايةً للمشاعر وحرصاً على معنويات الأبناء ومثالياتهم. فواصل التزامك بهذا الصمت النبيل مع



ابنتيك يا صديقى وقل لهما إن من الأسباب المشروعة للطلاق بالرغم من كراهته استحالة العشرة بين الزوجين فإذا تعذر الإصلاح وفشلت كل الجهود ولم يعد فى طاقة أحدهما أو كليهما مواصلة احتمال الحياة مع الطرف الآخر فلهما أن يتفرقا بلا ضغينة وبغير أن ينقص ذلك من كفاءة أحدهما أو حرصه على أبنائه مصداقاً لقوله تعالى ﴿وإن يتفرقا يغن الله كلاً من سعته﴾ .

ولقد استحالت العشرة بينك وبين أمهما ورأيتما بعد طول مجاهدة أن يستقل كل منكما بحياته عن الآخر . . ويواصل رعايته لكما بغير أن يسىء للطرف الآخر أو يذكره بسوء لديكما . والأيام كفيلة بعد ذلك بمداواة الجراح وتفهم الأبناء لبعض حقائق الحياة القاسية بغير أن يهتز رمز الأب أو الأم فى مخيلتهما .

فأما الستر الذى تتساءل فى غمار همك بأمرك وراثتك لنفسك ، لماذا انكشف عنك وأنت الابن البار لأبويه والأخ العطوف لشقيقاته . . والزوج المخلص لزوجته فإن تساؤلك المؤلم له ما يبرره بالفعل وأنت الذى التزمت بمثالياتك الأخلاقية والدينية فى الحياة وتوقعت أن تجزيك عنها الأيام بالسعادة والأمان . . لكن كل إنسان فى الوجود معرض للإساءة من الآخرين ولو كان من الصالحين . . ولقد تعرض الأنبياء جميعهم للأذى من أقوامهم وهم دعاة الحق وهداة البشرية إلى الخير والصلاح .



والخطيئة فى النهاية هى عار المخطئ وليست عار ضحيتها .

وليس يعيب الإنسان أن يغدر به الآخرون أو يتنكروا له أو يخذلوه وإنما يعيبه أن يقبل الخنا على نفسه أو يتغاضى عنه طلباً للسلامة . . فارفع رأسك ولا تشعر بالانكسار والهوان لأن من أخلصت لها العشرة والود لم تحفظ لك الود ولم تبادلك إخلاصاً بإخلاص .

وثق فى أن تجربتك معها لم تذهب سدى فى النهاية فمن عرف من لا يصلحون له فلقد عرف بالتالى الصالح المنشود . . وليس يصمد لاختبارات الحياة القاسية بغير أن ينهار أمامها سوى أصحاب النفوس الكبيرة مثلك . والمثل البوذى القديم يقول لنا إن العظمة الحقيقية هى فى القدرة على احتمال المكاره .

ولو راجعت ما جرى لك فى محنتك لأدركت أن غطاء الستر لم ينكشف عنك فى واقع الأمر على عكس ما يبدو لك ، فلقد اكتشفت ما تعرضت له من غدر فى بدايته وقبل أن تفوح رائحته وتزكم الأنوف وتسبىء إلى كرامتك واعتبارك ، كما تأكدت من ظنونك بغير أن تنفجر حولك فضيحة مدوية تشعرك بالانكسار أمام شهودها . . ووقعت الواقعة المؤلمة فى أضيق حدود العلانية ولم يشهدا سواك ولم يعرف بحقيقة الأمر سوى والده زوجتك السابقة حين صرحت أنت لها بها ، ولعل ذلك يخفف من الخسائر النفسية والمعنوية ،



ويؤكد لك أن دعاء أبويك لك ومثالياتك الأخلاقية والدينية وتعاملك الأمين مع الحياة لم يذهب هباءً. . . والإنسان قادر دائماً على أن يبدأ حياة جديدة فى أية مرحلة من العمر، وأكثر الناس استحقاقاً للسعادة هم الذين اختبرتهم الحياة بالشقاء واستوفوا كأسهم المرة منه .

وسن السابع والأربعين مناسبة تماماً لبدء حياة جديدة لك إذا رغبت فى الزواج من جديد بشرط اختيار الزوجة الملائمة لك فى العمر والظروف العائلية والاجتماعية. . . وتقبل ابتيك مع الأيام للفكرة. . . وتشجيعهما لك عليها. . . وما أظن إلا أنهما سوف تشفقان عليك من وحدتك وتقبلان بها بعد حين. . . والشاعر الألمانى شيللر يقول لنا إنه : «حين يسقط البناء ويتغير الزمن تظهر حياة جديدة من بين الحطام».

فلعل ما تستشعر مرارته الآن يكون بشيراً لك بحياة جديدة تزهر ورودها من بين حطام التعاسة السابقة، ولعل الله سبحانه وتعالى يعوضك عما لم تحرص عليك ولم ترع لك حرمتك بمن هى خير منها.

ولا شك فى أن حرصك على ألا تسىء إلى أم ابتيك بالرغم من إساءتها لك وترفعك عن التشهير بها لدى ابتيها والآخرين سيكون شافعاً لك لدى السماء لكى تمسح عنك أحزانك وترشحك للسعادة الحقيقية فى قادم الأيام بإذن الله .



أنا رجل أبلغ من العمر ٥٦ عاماً وأعمل منذ فترة طويلة بإحدى الدول العربية ولى ابن وابنة انتھيا والحمد لله من دراستيهما الجامعية ويعملان معى الآن فى نفس البلد الذى أعمل به .

وقد مضت رحلة حياتى دون تحولات عنيفة أو منغصات كبيرة . . غير أننى أواجه الآن موقفاً يثير تأملاتى . . ويدفعنى لأن أستشيرك بشأنه . فمذ ثلاثين عاماً ارتبطت عاطفياً بفتاة أحببتها للغاية ورغبت بشدة فى أن أتزوجها، إلا أنها كانت تكبرنى بأربع سنوات، ووقف هذا الفارق عائقاً صلباً دون موافقة أهلى على زواجى منها، وحاولت بشتى الطرق إقناعهم بها، إلا أنهم أصرروا على موقفهم للنهاية، ولأننى بار بأبى وأمى، فلقد استجبت لهما على غير رغبتى وصارحت الفتاة بالحقيقة ونصحتها بأن تبحث عن مستقبلها وألا تنتظرنى، وانقطعت عن رؤيتها بعد ذلك، لكننى لم أنسها، ولم يمض وقت طويل حتى كانت قد تزوجت وشغلت بحياتها الجديدة .

أما أنا فقد رشح لى أبى وأمى عروساً مناسبة، وسرعان ما تزوجتها واصطحبتها معى إلى الدولة العربية التى عملت



بها.. وكلمما رجعت إلى مصر فى أجارة تذكرت فتاتى الأولى  
واستفسرت عن طريق الأصدقاء عن أخبارها..

ومضت حياتى هادئة وبلا منغصات، والحق أننى قد وجدت فى  
زوجتى سيدة فاضلة تبذل كل ما فى وسعها لإسعادى كما أنها  
صانتنى وحمتنى من مغريات الشباب، ونشأت أبناءنا على الخلق  
الحميد والحمد لله على ذلك كثيراً، لكن الحياة مضت بى بالرغم من  
ذلك دون أن أشعر بحرارة الحب التى كنت أستشعرها مع فتاتى  
الأولى.

أما الموقف الذى أواجهه الآن ويشير تأملاتى فهو أن ابنى يحب  
إحدى زميلات أخته فى العمل حباً كبيراً ويرغب فى الزواج منها..  
وأنا ووالدته نعارضه فى هذا الارتباط لغير شىء سوى لأنها تكبره  
بخمسة سنوات!.. وهو يصبر على الزواج منها ويحاول إقناعنا بها  
بشتى الطرق.. ووالدته ترفض بشدة وأنا أشاركها الرفض بدافع من  
خوفى عليه كأب فى بعض الأحيان.. وأتذكر موقفى من أبى وأمى  
حين رفضا زواجى ممن أردتها لنفس السبب فى أحيان أخرى. ففارق  
قلبى له وأتمنى لو أحقق له أمنيته لكيلا يحرم ممن يحبها.

وقد زاد من حيرتى أن تقدم لابنتى شاب يصغرها بثلاث  
سنوات.. وابنتى توافق عليه وترحب به، وزوجتى ترفضه بشدة كما  
ترفض فتاة ابنها التى تكبره.



وأنا بالرغم من عدم موافقتى على اختيار ابنى ولا على من تقبل به ابنتى وليس فيهما أية عيوب جوهريّة سوى فارق السن، فقد حاولت إقناع زوجتى بقبولهما.. لكنها ترفض رفضاً تاماً.. ونحن فى غربّة والشباب المصرى المقيم هنا يرجعون إلى بلدهم فى الأجازات فيتزوجون من أقاربهم ومعارفهم فيها، ونحن لا نرجع إلى بلدنا إلا لمدة شهر واحد كل عام، وبسبب طول الاغتراب فإن صلتنا بالأقارب والمعارف فى مصر محدودة، وأخاف على أبنائى من ضياع الفرص المناسبة.. ومن غربتهم فى بيتهم، حيث أن كلا منهما الآن يسكن حجرته ولا يكلم أحداً، كما يثير شجونى أن ما حدث لى فى الماضى وشكوت منه يتكرر الآن بنفس تفاصيله مع أبنائى، فما رأيك فى ذلك وبماذا تشير على؟.



دورة الأيام قد ترينا من أمرنا عجباً! والحق أن مشكلة تفاوت السن بين شريكى الحياة ينبغى أن تكون دائماً فى حدود الأمان.. أى فى الحدود التى تسمح لهما بتقارب الاهتمامات والميول والمزاج النفسى بشكل عام.. فإذا كان المبدأ العام هو تفضيل أن يكبر الفتى الفتاة التى يرتبط بها ببضعة أعوام للاعتبارات المعروفة، فليس مما يخرج أيضاً عن حدود الأمان فى بعض الحالات الاستثنائية أن تماثل الفتاة فتاها فى السن أو أن تكبره بسنوات قليلة.. والاستثناء دائماً خروج عن القاعدة لابد أن يكون له ما يبرره، لأن قوانين الحياة الطبيعية هى الأولى بالاتباع فى الظروف العادية، وأقوى دوافع الاستثناء من القاعدة فى أمور الزواج هو الارتباط العاطفى القاهر الذى يعوّض أو يبرر عدم الالتزام ببعض بنود القاعدة العامة لدى أصحابه.

وإذا كان هذا الاختيار العاطفى القوى لا يتعارض مع أحكام العقل فى النواحي الأخرى، كاعتبارات الكفاءة العائلية والاجتماعية والسمات الأخلاقية والنفسية والعقلية، فلقد يجوز التغاضى عن فارق السن لغير صالح الفتاة فى بعض الحالات، كما يجيز بعض



الفقهاء إمامة المفضول مع وجود الأفضل أحياناً! والأفضل دائماً هو أن يكبر الفتى فتاته ببضع سنوات ليكون قادراً على الإمساك بدفة القيادة فى أسرته الصغيرة بالمشاورة والتعاون مع شريكته. والمهم فى كل الأحوال هو أن يعى كل طرف فى العلاقة الزوجية حقيقة دوره ويكون قادراً على النهوض به بغير التنازل عنه للطرف الآخر وبغير تطلع طرف لأداء دور ليس مؤهلاً بحكم الطبيعة وقوانين الأشياء للقيام به نيابة عن شريكه.

ومقاومة الأهل للاختيار العاطفى للأبناء إذا لم يتعارض هذا الاختيار مع أحكام العقل بشكل صارخ، كثيراً ما يدفع الأبناء للتمسك به ويستشير لديهم الميل للتحدى لإثبات سلامة اختيارهم حتى ولو دفعهم ذلك أحياناً إلى التغاضى عن بعض المحاذير والعيوب. فى حين قد يساعدهم تحرز الأهل فى رفض اختياراتهم، ومبادرتهم بعدم اتخاذ موقف قاطع بالرفض لها، واعتبار الأمر قابلاً للمناقشة والتفكير فيه، على ممارستهم هم أنفسهم للتفكير النقدى لهذه الاختيارات.. والتفكير النقدى هو التفكير الذى يتسم بالموضوعية ولا يقبل الأشياء قبولاً مطلقاً، ولا يرفضها أيضاً رفضاً مطلقاً، وإنما يرى فيها المزايا والعيوب ويوازن بينها ويتخذ صاحبه قراره على أساس ترجيح كفة هذا على ذاك.. وفترة الخطبة فى الأصل هى فترة اختبار للمشاعر وتوافق الميول والرؤى لدى



الخطيبين.. . ولا بأس بأن «يختبر» ابنك صدق مشاعره وعمق توافقه  
ميوله مع ميول فتاته خلال فترة ملائمة للخطبة قد تسمح له بتقدير  
الأمر تقديرًا أكثر موضوعية منه وهو واقع تحت ضغط الرفض  
المطلق لاختياره من جانب أبويه، وما يثيره لديه ذلك من تحد قد  
يغمض العين معه عما في وجهة نظرهما من استشراف للمستقبل  
وحرص على مصالحه.. . فإذا جاءت نتيجة الاختبار لصالح فتاته فلا  
شيء يمنع استكمال المشوار معها، وتسليم الأهل له برغبته، لأن  
هدفهم في البداية والنهاية هو سعادته وصلاح أمره، وإذا لم تجئ  
النتيجة لصالحها كان قراره نابعًا من تجربته وليس مفروضًا عليه بالقهر  
من أبويه، فلا يندم على فوات الفرصة ولا يأسى عليها.

ونفس المنطق يمكن التعامل به مع ابنتك بغير قهر لإرادتها، فماذا  
يمنعك أنت وزوجتك ياسيدى من منح ابنك وابنتك حق التجربة  
المشروعة في الإطار العائلي مادام اختيارهما لا يعيبه شيء جوهري -  
كما تقول - سوى فارق السن؟



أكتب إليك قصتي لعلها تفيد غيري، وتجنبهم العثرات،  
فأنا رجل في الثالثة والأربعين من العمر.. ارتبطت خلال  
دراستي بالجامعة بزميلة لي، وعشت معها قصة حب عميقة،  
وتعاهدنا على الزواج بمجرد التخرج.. وتخرجت وخطبتها  
وأديت الخدمة العسكرية.. ولا شيء يشغل تفكيري سوى  
فتاتي، ثم تزوجنا وبدأنا حياتنا معاً، وعشنا قصة سعادة  
رائعة.. وأنجبنا طفلين جميلين، اكتملت بهما أنشودة الحب  
القديم ومارست إلى جانب عملي بالوظيفة.. عملاً حراً  
ليساعدني على تدبير احتياجات أسرتي الصغيرة. في حين  
فضلت زوجتي الحصول على أجازة بدون مرتب لرعاية أطفالنا  
وبيتي. ونجح عملي الحر وتوسعت فيه حتى جاءت اللحظة  
التي ينبغي لي الاختيار فيها بين التفرغ له أو التمزق بينه وبين  
الوظيفة، فاخترت الاستقالة والتفرغ لعملي.. وشجعتني  
زوجتي على هذا القرار.

٦

وأثبتت الأيام بُعد نظري ونظر زوجتي في هذا القرار. فلقد  
ازدهر عملي وحقق نتائج ممتازة، وعمل معي فيه صديق قديم  
متزوج، فازداد تقاربنا العائلي.. وأصبحنا نحن الأربعة كأسرة  
واحدة، نلتقي كثيراً ونتبادل الزيارات العائلية ونقضي كل  
أوقات فراغنا معاً، فبدأ التقارب بيني وبين زوجة صديقي



يزداد بلا احتباس، وكانت البداية مكاملة تليفونية بينى وبينها ليتنى لم أتحدثها ثم تعددت المكالمات، وبدأنا نستشعر خطورة الطريق الذى ننزلق إليه وأثره على حياة كل منا العائلية، فحاولت زوجة صديقى التوقف والابتعاد.. ولم أحاول أنا ذلك للأسف بالرغم من إدراكى للهوة التى أسير إليها.. فاستمرت المكالمات والاتصالات وتبادل النظرات الخفية خلال اللقاءات العائلية، وتمزقت بين مشاعرى تجاه زوجتى التى مازلت أحمل لها الحب القديم، وبين رغبتى فى تلك السيدة.. وتمزقت بين ضعفى الذى يغرينى فى الاستمرار فى اللعبة القذرة، وبين إحساسى القاتل بأننى خائن لزوجتى ولصديقى ونذل شديد النذالة.. واضطربت أعصابى وأحوالى النفسية، وقل تركيزى فى عملى، فلم يمض وقت طويل حتى بدأ التوفيق يتخلى عنى فى العمل.. وواجهت سوء حظ غريب فى أكثر من عملية كان مقدراً لها النجاح مائة فى المائة فباءت بالخسارة وأخفيت عن زوجتى اضطراب أحوال العمل إشفافاً عليها.

وحاولت قدر جهدى أن أتخفى عنها «بندالتى» الشخصية معها ومع صديقى، لكنها أحست بقلب المرأة أن هناك شيئاً غير طبيعى فى حياتى، ولم تفاتحنى فى ذلك.. ولم تحاول استجوابى أو أن تشكو لأحد من أهلها أو أهلى إلى أن تأكدت من ظنونها وعرفت بالقصة كلها.. فأثرت ألا تفضحنى وألا تثير الزوابع



حولى . . وإنما عبرت عن موقفها مما يجرى بالنظرات القاتلة التى تجمع بين الازدراء . . والأسف والكبرياء . واكتفت بإبداء الجفاء المذهب تجاه تلك السيدة وإشعارها بأنها لم تعد صديقة لها كما كانت من قبل . . وإنما أصبحت غير مرغوبة من جانبها فى بيتنا أو حياتنا، والتقطت الأخرى الإشارة فانزوت وابتعدت عنها وعنى وكفت عن الاتصال بى أو الرد على اتصالاتى .

ثم علمت زوجتى باضطراب أحوال العمل . . ومانتج عنه من خسائر، فشعرت أكثر بأننى غير أمين عليها ولا على مستقبل أبنائنا . . وازدادت الفجوة بيننا . . وشعرت أنا بالانكسار أمامها، وأصبحت لا أقوى على النظر فى عينيها، إننى أحاول الآن إنقاذ ما يمكن إنقاذه من عملى . . ولن يكون ذلك مستحيلاً بالصبر والكفاح، لكن المشكلة هى أننى لا أستطيع أن أحيأ مع زوجتى للنهائة وأنا منكسر الرأس شاعراً بالانكسار والذلة أمامها .

فماذا تنصحنى أن أفعل . . هل أطلقها لكى تعيش حياتها كما تشاء . وتتفرغ لرعاية الأبناء . . أم هل أسعى للعمل فى الخارج لفترة طويلة أغيب خلالها عنها إلى أن تنسى ما حدث وتكف عن توجيه نظراتها القاتلة إلى؟



لست فى حاجة إلى طلاق زوجتك مادامت لم ترغب فيه، ولم تطالبك به.. ولا إلى هجرها والسفر لفترة طويلة بدعوى أن تنسى هى خلالها ما كان من أمرك، وإنما أنت فى حاجة فقط لأن تعترف لنفسك أولاً بفداحة الجرم الذى ارتكبته فى حقها.. وفى حق صديقك وفى حق مثاليات الحياة والأخلاقيات السليمة.. وأن تستشعر الندم الصادق عليه.. ويصح عزمك على التطهر منه والتكفير عنه.

وحين تفعل ذلك.. وتلتزم الطريق القويم فى حياتك.. وتستشعر زوجتك جديتك.. فلسوف تجد أنت القدرة على النظر فى عينيها دون أن تحتاج لأن تنكس رأسك أمامها، ولسوف تستعيد زوجتك ثقتها فىك واحترامها لك وإحساس الأمان معك.. وتسلم بما يسلم به أصحاب القلوب الحكيمة من أنه لا يُلام المرء على أمر قد تاب عنه وندم عليه.. ولم يرجع إليه مرة أخرى، أما قبل ذلك فإن نظراتها القاتلة هذه هى عقابها لك على جريمتك المضاعفة فى حقها.. وهى مضاعفة لأنك لم تكف بخيانة عهدك معها بالإخلاص لها حتى نهاية العمر.. وإنما نكبتها فى إخلاصك لها



«وإخلاص» الصديقة السابقة كذلك لها.. ثم فى مثالياتك وأخلاقياتك التى سمحت لك بخيانة صديقك والعبث مع زوجته.

ومالا يدركه بعض الرجال هو أن طعنة الرجل لزوجته بخيانتها مع أخرى إنما تتضاعف فجيعتها بها حين تكون هذه الخيانة مع من كانت تتوسم فيها الصداقة والإخلاص لها.. أو كانت من أقرب الناس إليها.. إذ تشعر المرأة فى هذه الحالة وكأنها قد فجعت فى إخلاص طرفين توسمت فى كل منهما الحب والإخلاص لها.. وليس فى طرف واحد هو زوجها.. وتستشعر الرثاء مضاعفًا لنفسها ولأن أملها فى زوجها كان أكبر من الأمل فى غيره.. فإنها تُحمّله عادة المسئولية الكاملة عن الخiantتين اللتين تعرضت لهما فى آن واحد.. وتود لو كان قد أعفاها على الأقل من مضاعفة غدره لها بغدر أقرب الصديقات إليها.. ناهيك عما فى خيانتك لها مع زوجة أقرب الأصدقاء إليك من دلالات كريهة على مستوى قيمك الأخلاقية والدينية، مما لا تسعد به أية زوجة أو ترضى عنه.

ولأن لكل جريمة عقابًا - فقد اختارت زوجتك أن تعاقبك على خيانتك لها وفجيعتها فى مثالياتك الأخلاقية.. عقابًا معنويًا قد يراه البعض هينًا.. ويراه ذوو الألباب أشد وطأة من الناحية المعنوية من غيره. ذلك أنه يعكس إحساسها بسقوط اعتبار زوجها لديها بغير كلام ولا عواصف مزلزلة. ومع ذلك فإننى معجب بنبل تصرفها



معك بعد اكتشافها لأمرك وترفعها عن إثارة الفضائح الشخصية حولك . . وتسترها عليك بدلاً من الإساءة إليك ، وإسقاط اعتبارك في نفوس من هم حولك . . فإذا كنت تشعر بالانكسار أمامها فلأن الإنسان لا ينال الاحترام من الآخرين بالضغط أو الإكراه . . ولا بالاستجداء ، وإنما ينبع الإحساس بالاحترام ذاتياً تجاه الآخرين حين يلمس المرء التزامهم بالطريق القويم في الحياة ، وتصرفهم في حياتهم تصرفات تعكس اتزانهم النفسى والخلقى والتزامهم باحترام النفس وحقوق الغير . . والطريق الخاطئ متاح دائماً للجميع ، وهو الطريق السهل الذى لا يرد فيه المرء نفسه عن إغراء أو مصلحة عابرة أو متعة ولو كانت محرمة حتى ولو تعارضت مع حقوق الآخرين ، أما الطريق الصعب فهو الطريق الذى يجاهد الإنسان فيه نفسه ويردها عن رغائبها غير المشروعة . . ويكون جزاؤه عن جهاده فيه هو الرضا عن النفس واحترام الآخرين للمرء . . والمضى فى الحياة بغير مكابدة الإحساس المرير بالذنب والخوف من عقاب السماء وغدر الأيام ، وليس من حق من يختار الطريق السهل أن يأسف على سقوط اعتباره لدى الآخرين ، ولا أن يلومهم على ذلك ، وإنما من واجبه أن يلوم نفسه على أن وضعها موضع اللوم والازدراء من الآخرين ، وأن يجاهد بإخلاص ليردها عن كل ما يسىء إليها ، فيكتسب تلقائياً ثقة الغير واحترامهم .



وأنت تستطيع أن تفعل كل ذلك بغير كلام.. . وتستطيع أن تعبر  
لزوجتك بالتصرفات والأفعال عن ندمك على ما سبق منك في  
حقها.. . وسعيك بجدية لإصلاح أحوال العمل والتفرغ له.. .  
وصبرك عليها إلى أن تأسو جراحها.. . وتصفح عما كان من أمرك.. .  
فتختفى نظراتها القاتلة تدريجياً وتحل محلها نظرة «الصفح الجميل»  
الذي قال إمام المتقين على بن أبي طالب في تفسيره «إنه الرضا بغير  
عتاب»، فترفع أنت رأسك في مواجهتها.. . وتسقط هذه الصفحة  
الكريهة إلى الأبد من ذاكرتها وذاكرتك!







أنا فتاة فى التاسعة عشرة من عمرى لى من الأخوة أخ وأخت يكبراننى، وأخت تصغرنى، وقد رحلت أمى عن الحياة وأنا طفلة فى الخامسة من عمرى وكانت وفاتها مفاجئة ولم يمهلهما العمر لكى ترعى أبناءها الأربعة، أو لكى أرتوى من عطفها وحنانها.. فلم تبق لى منها سوى ذكريات غائمة غير محددة، فأتذكرها مثلاً حين كانت تغنى لى أو حين كانت ترجع من العمل كل يوم ومعها بعض البسكويت والحلوى لى ولإخوتى، أو حين كانت تنصحنى بألا أنام أبداً على بطنى أو على جنبى الأيسر وبأن أنام دائماً على ظهرى أو على جنبى الأيمن، أو حين كانت تعاقب أخى الذى يكبرنى لعدم أدائه الصلاة فى موعدها عقب الأذان مباشرة.. أما ملامحها الشخصية فإننى لا أتذكرها للأسف.. ولم أعرف شكلها فيما بعد إلا من الصور الفوتوغرافية، كما أنى لا أتذكر أننى قد حزنت ليلاً عند وفاتها.. فلقد كنت طفلة صغيرة وكل ما عرفته وقتها هو أنى لن أر أمى.. ولن أنطق بكلمة «ماما» مرة أخرى.

وكان أبى حين رحلت أمى عن الحياة فى التاسعة والثلاثين من عمره شاباً قوياً ووسيماً. وبعد وفاتها نصحه كثيرون من الأهل والأصدقاء بأن يتزوج من جديد، وكان يستطيع



ذلك بالفعل ويتركنا فى رعاية جدتنا ويتزوج هو فى بيتنا لكنه لم يشأ أن يفعل، وكره أن يأتى لنا بـزوجة أب قد لا تكون أمينة علينا.

وراح أبى يعمل ويشقى لإعالتنا ورعايتنا وحده ومضت بنا الأيام وكلما تقدمت فى العمر إزداد إحساسى بأهمية وجود الأم فى حياتنا، وإزداد افتقادهى لها وبدأت أشعر بالحساسية تجاه كل شىء إلى أن بدأت أشعر بأن أبى يفرق فى المعاملة بينى وبين أختى الصغرى وبأنه يفضلها ويفضل أختى الأكبر علىّ، ومع الأيام إزداد شعورى بالظلم وبعدم الاهتمام بى وبأننى غير مرغوبة فى البيت واشتدت حاجتى إلى الأم فى حياتى، وكثيراً ماقلت لنفسى إن أمى لو كانت على قيد الحياة لما حدث لى شىء من ذلك.. . وتضخم إحساسى بالظلم والتفرقة بينى وبين أختوتى من عدة تصرفات صغيرة، وبدأ هذا الإحساس يتعمد داخلى حتى كاد يتحول إلى مايشبه الكره لأختى الصغرى وأختى الأكبر.. . بل ولأبى أيضاً! حتى تمنيت أن يأتى شخص ليتزوجنى ويأخذنى معه إلى بلد آخر بعيداً عن بيتى، وحتى فكرت كذلك ذات يوم فى الانتحار تخلصاً من حياتى ومشاكلى!

وكثرت المشاحنات بينى وبين أختى الصغرى وأختى.. . وتدخل أبى



فيها كلما شكتني إليه أختي . . وخُيل إليّ أنه ينصفها دائماً على حسابي، فازددت إحساساً بالظلم، وكلما عاتبت أبي على ذلك في أوقات الصفاء يقول لي إنها الأصغر مني . . وإن أماً قد رحلت عنها وهي طفلة وليدة في عامها الثاني أما أنا فقد تمتعت بحنان أُمي بضع سنوات . .

ولم يكن عقلي يقتنع بهذه الحجة . . فازددت ضيقاً بكل شيء وشعوراً بالظلم، وتكررت المشاحنات بيني وبين أختي وأخي . . إلى أن حدثت مشكلة جديدة بيني وبين أختي وتدخل أبي بيننا كالعادة . . فلم يحكم لها أو لي كما كان يفعل . . وإنما جمعنا نحن الإخوة الأربعة جميعاً وقال لنا وهو حزين للغاية: لماذا تثيرون هذه المشاكل بينكم دائماً ولماذا لا تحبون بعضكم البعض وتتكاتفون جميعاً في مواجهة الأيام وليس لكم في الحياة أحد غيري؟

ثم سكت لحظات وقال لنا بصوت أكثر حزناً إنه مضطر لأن يصارحنا بما كان يكتمه عنا إشفافاً علينا، وهو أنه مريض بفيروس الكبد الوبائي «سى» في مراحله الأولى . . ويشعر بالقلق على مصيرنا إذا رحل عن الحياة ولسنا على ما يحب لنا أن نكون عليه من حب ووثام، ولهذا فهو يطالبنا بأن نحب بعضنا بعضاً ونتساند لأن كل إنسان من الأهل مشغول بأمره وعائلته ولن يجد الوقت للاهتمام بأمركم من بعد أبنائنا . . وتركنا أبي ودخل حجرته فهرولت إلى



حجرتى وأنا أشعر بالاختناق وأغلقت بابها علىّ وانخرطت فى البكاء.. . وشعرت بأسى شديد لأبى وتذكرت كيف كان يعاملنى هذا الرجل الطيب وكيف كان يخاف علىّ ويدافع عنى.. . وتذكرت أشياء كثيرة لم أتذكرها من قبل من مزايا هذا الرجل وتضحياته الكبيرة من أجلنا وتخيلت حالى لو فقدته وكيف سيكون شكل الحياة بدونه.. . ودعوت الله من أعماق قلبى أن يحفظه لنا.. . وأن يجعلنى فداء له لكى يعيش ويواصل رعاية أخوتى، وعجبت لنفسى كيف كرهت ذات يوم هذا البيت الجميل الذى أعيش فيه، وشعرت بتفاهة كل الأسباب التى دعتنى من قبل للضييق بالحياة فيه وللإحساس بأن أبى يظلمنى.. . وحين خرجت من غرفتى بعد وقت طويل وجدت التأثير واضحاً على وجوه إخوتى ورحنا نتبادل نظرات الحب والأخوة، وليس نظرات الضيق والتحدى السابقة.

وأنا أكتب رسالتى لك هذه الآن كرسالة اعتذار منى عن كل ما فكرت فيه من قبل تجاه أبى وبعض إخوتى، ولكى أعترف لنفسى بأنه لا شىء فى الدنيا يعدل دخول أبى علينا من باب البيت وجلوسه بيننا، وأيضاً لأننى أريد بعد ذلك أن أعرف كل شىء عن هذا المرض ما هى مسبباته وأعراضه وعلاجه وهل يمكن الشفاء منه فى مراحله الأولى خاصة أن الفيروس كما قال لنا أبى مازال كامناً وغير نشط؟



## ولكاتبه هذه الرسالة أقول

حين تكون الشمس ساطعة والجو صحواً قد يتلاحى شخصان فى الطريق لأتفه الأسباب، وربما تماديا فى حمق الخلاف لما هو أكثر من الملاحاة.. فإذا تجهمت السماء فوقهما فجأة وزمجرت العواصف وهطل المطر سيولاً عليهما.. فلقد يسرعان بالاحتماء منه تحت أقرب مظلة.. وربما تعاونا على ذلك وهدأت ثائرتهما مع اشتداد العاصفة واقترب الخطر واكتشاف أن ما أثار خلافهما من قبل لم يكن يستحق منهما بعض ما جرّهما إليه.. وربما استشعر كل منهما فى الآخر جوانبه الطيبة التى غابت عنه فى ذروة الخلاف، ولقد يغادران المكان بعد هدوء العاصفة وقد صفت نفسيهما كما صفت السماء فوقهما بعد التجهم.

وهذا هو ما يحدث غالباً بين البشر حين يواجهون خطراً مشتركاً ينسيهم خلافاتهم العابرة ويوحد مشاعرهم فى مواجهته.

وهو ما حدث أيضاً لك ولإخوتك حين اضطر والدكم الطيب لأن يصرّح لكم بما كان يكتمه عنكم من حقيقة مرضه.. عسى أن ترفعوا عن الخلافات الصغيرة وتصفو مشاعركم الأخوية من



شوائبها . ولا شك فى أنه كان يفضل لو ظل طاوياً صدره على همه بأمره بعيداً عنكم لكى يعفيكم من القلق على صحته ومن الإحساس القاتل بالخوف من المستقبل استمراراً لتضحياته من أجلكم حين حرم نفسه من الزواج خوفاً من أن تشقوا بزوجة أب لا تكون رحيمة بكم . . فكيف يُساء فهم مثل هذا الأب الطيب من أقرب الناس إليه ، وأجدرهم بتقدير تضحياته من أجلهم ؟

لقد غاب عنك يا أنستى أن هذا الأب قد واجه محنة ثقيلة بفقد الزوجة ونهوضه برعاية أربعة أبناء وحده دون سند يخفف عنه هذا العبء . . أو يتولى من وجوهه ما لا تنهض به إلا الأمهات الطيبات . ولأن كل إنسان مُيسر لما خُلق له فليس من المستبعد أن يعجز والدك فى مثل هذه الظروف عن الوفاء ببعض الاحتياجات النفسية والعاطفية لأبنائه وخاصة البنات منهم للأسباب المعروفة ، ويصبح من العدل والرحمة أن يتفهم الأبناء أوجه قصوره المحدودة هذه ويلتمسوا له العذر فيها .

غير أنى ألتمس لك بعض العذر فى مشاعرك غير الناضجة فى السابق تجاهه لصغر سنك وقلة خبرتك وظروف حرمانك من عطف الأم وحنانها فى الطفولة المبكرة . . فلا بأس إذن بما حدث مادمت قد تطهرت من المشاعر السلبية السابقة تجاه أهلك وبعض إخوتك ، واكتشفت عمق حب أهلك لك ولكل إخوتك . . وأدركت قيمة



تضحيته الإنسانية من أجلكم جميعاً . . وراجعت موقفك من الأشياء وعرفت بنظرتك الجديدة أنه لا شيء فى الحياة يعدل وجود أبيكم بينكم يظلكم بظله ويتدفق عليكم ينبوع عطفه وبره .

وقديماً قال الشاعر والأديب جبران خليل جبران: لا يُعرف عمق المحبة إلا ساعة الفراق.

ولقد أضيف إلى هذه العبارة الحكيمة، أن عمق المحبة قد لا يُعرف أيضاً إلا حين يتهدد الخطر من نحبهم . . فيصهر الخوف عليهم مشاعرنا تجاههم ويخلصها مما علق بها من شوائب فتسيل صافية خالصة إلى مصبهم . . فأما المرض وأسبابه وأعراضه وعلاجه فلقد نشر عنه الكثير، وأما أمل الشفاء منه فهو كبير والحمد لله خاصة وهو فى مراحله الأولى . . كما أن الطب يسجل انتصاراً جديداً كل يوم فى وسائل العلاج منه . . ولن يطول الزمن حتى يحقق النصر النهائى عليه قريباً بإذن الله . . ولعل أفضل ما تعينين به أنت وإخوتك أباكم فى معركته ضده، هو أن تتحابوا وتتكاتفوا وترفعوا عن التوافه وصغائر الأمور لكى ترتفع روحه المعنوية . . ويتحقق له الشفاء العاجل بإذن الله .







أكتب إليك بعد تفكير طويل لأروى لك قصتي حتى  
ترشدني إلى الحل السليم.

فأنا شاب أبلغ من العمر ٢٥ عامًا، ترجع قصتي مع الحياة  
إلى جذور بعيدة، فلقد كانت أمي زوجة لأقرب أصدقاء أبي  
إليه.. ثم رحل هذا الصديق عن الحياة تاركًا وراءه زوجته  
وابنًا وابنة، وواجهت أمي بعد وفاة زوجها ضائقة مالية شديدة  
لم تستطع مواجهتها، فتزوجها أبي بالرغم من معارضة أهله  
لهذا الزواج وأنجبنى منها.. وبعد فترة من زواجهما أنشأ معها  
تجارة لتوزيع بعض منتجات شركات الإنتاج، ونجحت تجارتهما  
التي كانت باسم أبي.. وبعد خمس سنوات نشبت المشاكل  
بينهما وانتهزت أمي - كما عرفت فيما بعد - فرصة سفر أبي  
لإحدى المحافظات واستولت على بضائع تجارته وقامت  
بإخفائها عند إحدى قريباتها، وتفاقت المشاكل بينهما وانتهى  
الأمر بطلاقهما وتنازل أبي لها عن تجارته.. وعن السيارة  
وشقة التمليك اللتين كتبهما من قبل باسمها. وغادرنا أنا وأبي  
بيت الزوجية لا نملك إلا ملابسنا، وأقمنا، وأنا طفل في  
السادسة من عمري في بيت جدي، والتحق أبي بالعمل في  
إحدى الشركات لمدة ثلاث سنوات، ثم أنشأ مع زوج إحدى  
عماتي تجارة جديدة، ورفض أبي الزواج مرة أخرى خوفًا من



أن يأتيني بزوجة أب تسيء معاملتي. . . وتمتعت في حياتي بيت جدى بعطف أبى وحنان عماتى وأعمامى الذين يقيمون فى نفس العمارة. . . إنسانة واحدة لم أتمتع بحنانها ولم أرها رؤية العين، منذ الانفصال، هى أمى!! فلم تسأل عنى فى يوم من الأيام ولم تسع لرؤيتى. . . بل رفضت أيضاً - كما عرفت - أن ترانى حين أرسل إليها أبى مع أحد أصدقائى يبلغها بحاجتى النفسية إلى حنانها ورؤيتها.

ومضت بى الأيام وأنا يتيم معنوياً بالرغم من وجود أم لى على قيد الحياة، وتقدمت فى مراحل الدراسة، وحصلت على الثانوية العامة بمجموع ٩٥,٥٪ والتحقت بالكلية العملية المرموقة وتفوقت أيضاً فى دراستى بها، ونشأت ملتزماً دينياً، وخلال هذه السنوات كانت تجارة أبى وزوج عمتى قد نجحت وأتت بثمارها، فكانت هدية أبى لى بعد التخرج شقة تمليك لكى أتزوج بها حين يأتى الأوان. . . وإلى جانب الشقة فاجأنى أبى بدعوتى لأداء العمرة معه مكافأة لى على نجاحى وتفوقى.

وفى إحدى الأسواق بالأراضى الحجازية لفت نظرى وأنا واقف إلى جوار أبى وجود سيدة ورجل يبدو من ملامحهما أنهما مصريان ولا يكفان عن التحديق فىنا باهتمام غريب، فلفت نظر أبى إليهما وسألته عما إذا كان يعرفهما، فما إن رآهما حتى توجه ناحيتهما وهو



يجرنى معه وصافحهما، ودعاني لمصافحتهما، وعرفنى بهما فإذا  
بهما خالتي وزوجها!

ودعاهما أبى لتناول الغداء معنا بأحد المطاعم . . وعلى مائدة  
الطعام راحت خالتي تتوسل لأبى أن يأخذنى بعد عودتنا لمصر إلى  
زيارة أمى التى تعانى بعض المشاكل الإنسانية والصحية . . وتحدثت  
خالتي طويلاً عن معاناة أمى مع أخى وفشل أختى فى الدراسة وسوء  
حظها فى الزواج الذى أوقعها فى زوج يسىء معاملتها إلى حد  
التطاول عليها بالسب والضرب، ومرض أمى بالسكر وسوء حالتها  
الصحية وكيف أنها قد اعترفت بظلمها لأبى ولى، وتقصيرها معى  
وعدم اهتمامها بالسؤال عني طوال السنوات الماضية، ولكن كبرياءها  
كان يمنعها من قبل من التصريح بذلك، وانتهى اللقاء بيننا بوعده من  
أبى لخالتي بأن يصطحبنى بعد العودة لزيارة أمى، ووصل ما انقطع  
بينى وبينها.

ورجعنا إلى بلدنا، وراح أبى يحاول إقناعى بزيارة أمى فلم أجد  
فى نفسى أية رغبة فى ذلك، وصارحته بأننى لا أريد أن أزورها ولا  
أشعر بافتقادها بعد أن أهملتني ١٩ عاماً كاملة وانصرفت عني . .

ولم ييأس أبى من محاولة إقناعى . . وبلغ فى توسلاته إلى لكى  
أفعل ذلك أن قبل رأسى داعياً لى الله أن يهدينى سواء السبيل .

واختتم محاولاته بأن تركنى لنفسى ونصحنى بالسفر لعدة أيام إلى



فايد لكى أخلو بنفسى فى قرية سياحية هناك وأفكر تفكيراً هادئاً ثم أرجع منها بقرار سليم . . وشكرته على نيته الطيبة، وسافرت بالفعل لعدة أيام وحاولت أن أتجرد من مراراتى القديمة تجاه أمى، وانتهت الرحلة ورجعت إلى بيتى دون التوصل لهذا القرار.

إن احداً من أهل أبى لم يذكر أمى أمامى ذات يوم بسوء، ولا فعل ذلك أبى لكنى لم أستطع بالرغم من ذلك أن أغفر لها إهمالها لى ورفضها لرؤيتى طوال السنوات الماضية . . بل إننى لم أغفر لها أيضاً افتعالها للمشاكل التى أدت لانفصالها عن أبى وحرمتنى من الحياة الطبيعية بينها وبينه . .

كما لم أغفر لها مباعدها بينى وبين إخوتى منها حتى نشأنا لا يكاد أحداً يعرف الآخر . .

إن نفسى مازالت مملوءة بالمرارة تجاهها . . وأبى يلح على بأن أنسى، وبأن أكون باراً بأمى . . لكنها لم تعطنى من حنانها شيئاً . . فكيف أعطيها أنا من برى؟ إننى حائر ومتردد، فبماذا تشير على؟



## ولكاتب هذه الرسالة أقول

من حقك يا صديقى أن تتجدد المرارة القديمة فى نفسك تجاه والدتك حين تثار قضية وجودها فى حياتك مرة أخرى بعد هذه السنوات الطويلة من الغيبة . . والاختفاء .

ومن حقك أيضاً أن يكون قرارك بالرفض المطلق هو استجابتك الأولية لدعوتك إلى زيارتها بعد هذه القطيعة الطويلة .

فمثل هذا القرار الانفعالى هو رد الفعل الطبيعى لهذه الدعوة التى تنكأ الجراح القديمة لديك . وكثيراً ما نُعبّر بمثل هذا الرد الانفعالى عن مشاعرنا البدائية تجاه الأحداث والأمور التى تثير حنقنا أو تشعرنا بالغصة فى حلوقنا تجاه من أساءوا إلينا، غير أننا - على الناحية الأخرى - كثيراً ما نراجع أنفسنا بعد فترة الاستسلام المبدئية لهذه المشاعر الانفعالية ونروض انفعالاتنا الجامحة . . ونكبحها بلجام الدين والعقل والعدل والرحمة . . ونحاول أن نفكر فيما أثار حنقنا بروية، وأن نجنب تفكيرنا فيه دواعى التأثير بانفعالاتنا تجاهه . . لتوصل فى النهاية إلى ما لا يتجافى مع القيم الدينية والأخلاقية من قرارات عادلة . ولن نكون بشراً كالbشر لو لم تتفجر



فى البدائة انفعالاتنا الجامحة هذه تجاه ما يجرح مشاعرنا وكرامتنا  
وينكأ جراحنا، أو يستفز ذكرياتنا الأليمة. ولن نكون من الصالحين  
الذين يدعون ربهم فى العشية والأسحار أن يجنبهم مزالق السوء  
ويحميهم من غدر الأيام لو لم نراجع أنفسنا بعد هذه الانفعالات  
الأولية ونكظم غيظنا ممن أساءوا إلينا ونهتد بالدين والحق والرحمة  
فى موافقنا منهم.

ولهذا فلا لوم عليك فى رفضك الانفعالى الاستجابة لنداء زيارة  
والدتك بعد ١٩ عاماً من انقطاعها عنك دون سبب مفهوم لديك أو  
عذر مقبول منها.

لكنى سوف ألومك بكل تأكيد إذا تحجرت عند هذا الموقف  
الأولى، وتمسكت به بعد فترة رد الفعل التلقائية لهذه الدعوة المجددة  
للأحزان والأشجان، ذلك أنه قد يكون مقبولاً أن نعامل كل البشر  
بالمبدأ الذى تتعامل به الدول فيما بينها وهو مبدأ المعاملة بالمثل، لكن  
ليس من المقبول أبداً أن نتعامل به مع آبائنا وأمهاتنا وأبنائنا وذوى  
رحمنا.

فأما أبناؤنا فإن فطرتنا تقهرنا على الرفق بهم والحرص عليهم حتى  
ولو لم يُقدروا لنا هذا الحرص.. أو لم يكافئونا عليه ببرهم بنا..  
وأما آبائنا وأمهاتنا فنحن مأمورون بأن نترفق بهم ونحسن صحبتهم  
حتى ولو جاهدونا على ألا نعبد الله سبحانه وتعالى.



وأنت تقول إنك قد نشأت ملتزماً دينياً، وكانت مكافأتك على تخرجك وتفوقك زيارة بيت الله الحرام وقبر رسوله الكريم صلوات الله وسلامه عليه فكيف يغيب عنك إذن أنك تقترف إثماً عظيماً برفضك زيارة أمك في ضعفها وحاجتها إليك، حتى ولو كانت قد تخلت عنك وباعدتك وهى فى عنفوانها وقوتها؟

إنك لا تستطيع معاملتها بالمثل... ولا حتى «عقابها» على ما قصرت فيه من حقك، بحرمانها منك أو من رؤيتك حين توجه إليك النداء، لأنك لا ترجو بزيارتها شيئاً من رضاها أو حنانها الذى حرمت منه... وإنما ترجو بها فقط رضا خالقك سبحانه وتعالى وأن تعفى نفسك من إثم عقوقها حتى ولو كانت قد عقتك من قبل، مادامت قد ندمت على ما اقترفت فى حقك ورغبت فى التكفير عنه.

ومن رحمة ربنا بنا أنه لا يعاقبنا على ما يمور فى صدورنا من انفعالات سلبية تجاه الغير ما لم نعبر عنها بالأفعال والتصرفات، وأنت لست مطالباً فى النهاية بأن ينفجر فى قلبك ينبوع الحب لأُمك كما يتدفق فى صدر الابن البار تجاه أمه الرؤوم العطوف التى رعته صغيراً وأحبته كبيراً، وإنما بأن تترفق بها وتسمع دفاعها عن نفسها وتبريرها لمجافاتها لك وانقطاعها عنك طوال السنوات الماضية، فلقد يتضح لك أن لديها بعض ما يبرر تقصيرها فى حقك من وجهة



نظرها . . ولقد يكون كل مألديها هو الإقرار بخطئها معك وتقصيرها  
فى حقك ورجائها لك أن تصفح عما كان من أمرها وتغفره .

والحقيقة على أية حال يمكن النظر إليها من أكثر من زاوية  
للرؤية . . وأنت تقول إنك لم تسمع من أبيك وأعمامك وعماتك  
كلمة سوء عن أمك طوال حياتك معهم . . وقد يكون ذلك  
صحيحاً . . ولقد يكون والدك قد أحسن إليك بعدم الإساءة إلى رمز  
الأم فى مخيلتك كما ينبغى للآباء والأمهات الصالحين أن يفعلوا مع  
أبنائهم . . لكنك على الناحية الأخرى قد علمت من أمرها الكثير مما  
أسهم فى تشكيل رأيك السلبي فيها إلى جانب غيابها عنك ، كقصة  
زواجها من أبيك بعد صديقه الراحل . . وقصة إخفائها بضائع تجارته  
واستيلائها على الشقة والسيارة والتجارة ، وقصة رفضها الاستجابة  
لدعوة الأب لها لزيارة طفلها المحروم من أمه . .

فكيف عرفت إذن كل هذه الأمور إن لم يكن قد جرى بالضرورة  
حديث لا مفر منه لتبرير يتمك المعنوى مع وجود أمك على قيد  
الحياة؟ إننى أومن بأنه لاشئ فى الدنيا يمكن أن يبرر لأم أن تتخلى  
عن صغارها بلا أسباب قهرية أو أن تكرر معهم سيرة إناث الضفادع  
التي تضع بيضها فى المستنقع ثم تهجر صغارها وتتركها تكافح  
أسباب الموت بمفردها .

لكننى أومن أيضاً بأنه لاشئ فى الحياة كذلك يمكن أن يمنع ابناً



من تلبية نداء أم اعترفت كما تقول شقيقتها بخطئها فى حقه وندمت عليه وترجو أن ترى ابنها وتشرح نفسها له .

ولست أنصح بأية حال من الأحوال إذا استجبت لندائها كما ينبغى لشاب ملتزم دينياً مثلك أن يفعل ، بالتحقيق بأثر رجعى فيما حدث بين أبويك ، ولا بمحاكمة الماضى وإصدار الأحكام القاسية عليه . . وإنما فقط بقبول اعتذارها إذا اعتذرت والصفح عما جنت فى حقك ، أو بسماع تبريراتها إن لم تعتذر لك بتحفظ لا يحرمها حق الدفاع عن نفسها من ناحية ولا يورطك فى سماع ما يسىء إلى أبيك أو يجرح مشاعرك تجاهه من ناحية أخرى .

فإذا ظلمت بعد أن تسمع لها مقتنعاً بظلمها لك بغير أسباب قهرية ، فليكن صفحك عما فعلت ورفقك بها فى ضعفها قربى لربك وشفيعاً لديه أن يكتب لك السعادة فى أيامك المقبلة ، ولتذكر فى مثل هذا الموقف دعاء العادل العظيم عمر بن الخطاب رضوان الله عليه حين دعا ربه قائلاً: رب قدّرني على من ظلمني لأجعل عفوى عنه شكراً لقدرتى عليه .

ومع فارق الحال بين من ينطبق عليهم هذا الدعاء من الغرباء وبين وضع الأب والأم وذوى الرحم فى حياة الإنسان ، فإننى أسألك فى النهاية: ألا تحب أن يكون عفوك عما أساءت به إليك أمك . . هو شكرك لخالقك العظيم سبحانه وتعالى على ما أنعم به عليك من نعم جليلة كنعم الأب الرحيم والتفوق فى الدراسة والصحة والشباب؟







أكتب إليك لأستشيرك فى أمر يشغلنى ويملك على كل فكرى . . فأنا سيدة فى السادسة والأربعين من عمرى مازلت أحتفظ بقدر كبير من جمالى ورشاقتى ، كما أن شخصيتى اجتماعية ومحبوبة من الآخرين . . ولقد تزوجت منذ ٢٢ عامًا من إنسان تعرفت عليه فى نطاق الأسرة وأعجبتنى شخصيته وأحبيته . . وأحببني ، وتعاونًا على إقامة عشنا المشترك . . ووقفت وراءه فى كل خطوة حققها فى حياته العملية . . وأنجبنا بعد الزواج ابنتين وولداً . . وتخلّيت عن طموحي المهني من أجله ومن أجل أبنائي ، فحصلت على أجازة بدون مرتب بعد الإنجاب لرعاية أطفالى الصغار ، وتفرغت لهم وله ، وتفننت فى تجميل بيتنا وحياتنا ، بموهبتى التلقائية فى الديكور والتزيين . . وأنفقت كل هبات أبى المالية لى بعد الزواج فى إضافة الحديد من قطع الأثاث . . وتغيير الستائر . . وتركيب الباركيه . . حتى صار بيتى تحفة يفتخر بها زوجى ويدعو رؤساءه فى الشركة التى يعمل بها للعشاء فيه فى المناسبات وهو يزهو بى وبإجادتى للطهى أمامهم . . وبعد أن استنفدت رصيدى من الأجازة بدون مرتب عدت للعمل فى الهيئة الحكومية التى عينت بها بعد التخرج وعملت بضعة أعوام أخرى . . ثم عدت للتفرغ للأسرة مع بدء ابنتى الكبرى لمرحلة الثانوية العامة . . وبعد نجاحها بتفوق والتحاقها بالكلية



التي رغبت فيها عدت للعمل لمدة عام آخر ثم تفرغت مرة ثالثة حين جاء دور الابنة الثانية مع مرحلة الثانوية العامة.. وهكذا وزوجى سعيد بى وبأبنائه وبيته ويشيد بأمومتى وعطائى له ولأبنائى.. فى كل مناسبة.. وحياتنا تمضى سعيدة وزاخرة بالحب والود والصدقة والتفاهم. أما المشاكل العابرة التي لا يخلو منها أى بيت.. فلقد كانت تعبر حياتنا عبوراً سريعاً لا يترك أية مرارة تؤثر على علاقتنا الحميمة.. وحافظنا دائماً على علاقة المودة والحب والرحمة التي تجمع بيننا، ومنذ بضع سنوات رحل أبى عن الحياة يرحمة الله وهو راض عنى وعن زوجى ويوصينى به ويوصيه بى، وورثت عنه مبلغاً من المال وضعته فى وديعة بالبنك.. واستفدت بعائدها السنوى فى التوسعة على أبنائى ونفسى وزوجى، وأصبحت أمى بعد رحيل أبى لاتجد راحتها إلا فى بيتى.. بالرغم من إلحاح إخوتى عليها لاستضافتها عندهم.. فكانت تنتقل بين بيتها وبيوتهم.. وتستقر عندى لفترات أطول لحبها لى ولزوجى وأبنائى.. وفى غمرة سعادتنا بحياتنا وأسرتنا مرض زوجى فجأة مرضاً شديداً.. وتدهورت حالته الصحية خلال وقت قصير.. وأنا لا أكاد استوعب حقيقة ما يجرى أمامى.. وتركت أبنائى فى رعاية أمى وانشغلت كليةً برعاية زوجى والتنقل معه بين الأطباء.. ودخول المستشفى من حين لآخر، وأوفدته الشركة الكبرى التي يعمل بها للعلاج فى الخارج ولم يكن فى قرار سفره بند لمرافق لأن طبيب الشركة يسافر مع مرضاها



المحتاجين للعلاج فى الخارج، فاقتطعت من وديعتى بالبنك مبلغًا كبيرًا وسافرت معه، وأمضيت بالغربة شهرين كاملين تلقى خلالهما العلاج المكثف فى أحد المراكز المتخصصة، ولاحت بشائر الأمل فى تحسن حالته ورجعنا ونحن نتعلق بالأمل فى الشفاء فلم تمض أسابيع حتى كان الداء قد هزمه.. ورحل عن الحياة وتركنا وأحسست بعد رحيله بأننى فقدت الأمان.. والإحساس بطعم الحياة.. واستسلمت للحزن والاكتئاب. ونخيم الصمت والظلام والكآبة على حياتنا، وأسدلت ستائر المسكن الجميل الذى أثناه معًا قطعة قطعة على النوافذ وأبواب الشرفات كأننى لا أطيق أن يتسلل ضوء النهار إلى البيت الحزين.. ورفعت فيشة أجهزة التلفزيون فى غرفة المعيشة وغرف النوم.. وغطيتها كلها بقطع من القماش. وحرمت على نفسى وأبنائى سماع الموسيقى والغناء من الراديو أو أجهزة التسجيل بالرغم من إشتاقي عليهم من حزنهم وافتقادهم لأبيهم الحنون طيب القلب الذى كثيرًا ما غبطت نفسى عليه وشكرت الله كثيرًا أن أنعم به وبأبنائى على ودعوت له ولهم كل يوم أن يحفظهم ربهم من كل سوء، وواصلت الاستسلام لنوبات البكاء وأمى تلومنى على استغراقى فى الحزن والكآبة.. وتطلب منى التخفيف عن نفسى وعن أبنائى وفتح نوافذ المسكن ومساعدة أبنائى على تجاوز المحنة والخروج من البيت.. وقطع الأجازة والعودة للعمل لكى يشغلنى عن أحزانى.. ومضت أسابيع ونحن على هذه الحال.. ثم بدأت أسمع



غمغمة وكلاماً مبهماً ممن حولي . . وتكرر الكلام الغامض دون أن أفهمه . . إلى أن تخلص بعضهم من الحرج وقالوها لى صريحة . . وهى أن زوجى الحبيب الراحل الذى كان بالنسبة لى ككتاب مفتوح قرأت كل صفحاته، كان متزوجاً زواجاً عرفياً موثقاً لدى المحامى من أرملة لها أبناء وتتقاضى معاشاً عن زوجها الراحل ولولا ذلك لتزوجها زواجاً رسمياً، وأن هذا الزواج السرى تم منذ سبع سنوات وظل مستمراً حتى اللحظة الأخيرة دون أن أدري وقد تكشف لهم أمره بعد رحيله عن الحياة بأيام قليلة . . وصُدمت فى وفاء زوجى لى صدمةً أذهلتنى عن صدمة فقدى إياه وتملكنى الذهول فترة طويلة . . وفقدت الثقة فى نفسى وفى الحب والإخلاص والوفاء وكل القيم المثالية، وتعجبت كيف تزوج هذه السيدة . . ولماذا . . ومتى تعرف بها . . وأين . . وكيف لم ألحظ عليه شيئاً خلال سبع سنوات؟! وبعد فترة الذهول الأولى، فوجئت ببركان من الغضب ينفجر داخلى ونهضت من نومى المتقطع فى الصباح ذات يوم فوجدتنى أفتح الستائر المسدلة فى كل نوافذ البيت . . ليدخل ضوء الشمس إلى المكان . . وأرفع الغطاء عن أجهزة التليفزيون . . وأفتحها كلها وأخلع الملابس السوداء وأرتدى الملابس الرمادية والزرقاء وأطلب من البنتين أن تخلعا ملابس الحداد وترتديا ماتشاءان من الملابس الملونة ماعدا الحمراء منها . . وتتساءل الابتان عن السبب فى هذا الانقلاب فأشفق عليهما من الإجابة وأغير الموضوع . . وأتحمل نظرات اللوم فى



عينيها، حين أخرج فى زيارات عائلية أو إلى الأسواق وأدعوها للخروج معى للترويح عن نفسيهما. وبالرغم من كل ما أحسست به من غيظ وقهر حين عرفت بأمر الزواج السري لزوجى إلا أننى لم أصارحهما بعد بسبب تغيرى.. وخلعى للملابس الحداد.. أما حيرة ابنى الصغير لما طرأ على من تغيرات فلقد فسرتهأ له بأننى أريد مساعدتهم بذلك على عدم الاستسلام للحزن حتى لا تتأثر صحتهم ودراستهم.

وفى بعض الأحيان أستريح لما فعلت.. ولالتزامى الصمت مع أبنائى بشأن أبيهم.. وفى بعض الأحيان يملكنى السخط والغيط فأعزم مصارحتهم بالسبب الحقيقى.

وإنى أسألك يا سيدى كيف يأمن المرء للآخرين إذا كان أقرب الناس إليه قد تكشف له فى النهاية عن شخص آخر له حياة سرية استمرت سبع سنوات. دون أن أدري عنها شيئاً؟. وبماذا تنصحنى أن أفعل مع أبنائى.. هل أصارحهم بهذه الحياة السرية لأبيهم.. وبسخطى الهائل عليه بسببها أم أدعهم فى أحزانهم على الأب المثالى الذى يفتقدون حنانه ورعايته وطيبته؟



ذكرتني رسالتك بقصة شهيرة للأديب الفرنسي جى . دى موباسان بعنوان «الجواهر» روى فيها قصة فتاة شابة جميلة كالملائكة ذات خفر وحياء ووداعة.. تزوجت من موظف بوزارة الداخلية فسعد بها وسعدت به، وكانت مثالا للإخلاص والوفاء والطهر.. وتتفنن فى إرضاء زوجها.. وفى تدبير معيشتها بمرتبه المحدود بلا شكوى ولا أنين.. ولم يكن يعيبها فى نظره سوى شيئين هامشين هما: ولعها الغريب بمشاهدة المسرح.. وولعها الأغرب بارتداء الجواهر المقلدة رخيصة الثمن لتكمل بها زينتها البسيطة.. ولقد كان يتجاوز عن هواية الجواهر المزيفة ويشفق عليها من فقره وعجزه عن أن يهديها ذات يوم قطعة جواهر حقيقية.. لكنها سعيدة بحياتها وراضية عنها ولا تشكو شيئا، ثم رجعت من المسرح ذات ليلة مصابة بالتهاب رئوى من أثر البرد القارس، واشتد بها المرض خلال فترة قصيرة حتى أودى بحياتها، فكاد زوجها يهلك حزنا عليها وافتقد برحيلها عن الحياة أنس عشرتها الطيبة له وإخلاصها ووفاءها وأخلاقها الملائكية، وازداد افتقاده إياها حين عجز عن أن يدبر شئون حياته بمرتبه المحدود، وتعجب كيف كانت تتفنن فى تدبير أمور حياتهما



معاً بهذا المرتب نفسه. واشتدت أزمته المالية ذات يوم ورأى أمامه صندوق مجوهراتها المزيفة الذى كان يطلق عليه مازحاً صندوق الخردة، فقرر أن يبيع عقداً منه لعله يأتيه ببضعة قروش تعينه على أمره، وتوجه إلى أحد محلات الجواهر وعرض العقد الزائف على صاحبه على استحياء فإذا به يكتشف أنه من اللؤلؤ الحقيقى وباهظ القيمة.. وإذا به يكتشف بعد ذلك أن صندوق الخردة الذى خلّفته وراءها زوجته يضم ثروة ثمينة من الجواهر الحقيقية أهداها إليها عشاقها خلال السنوات التى عاشتها معه.. ويكتشف أنه كانت لها حياة سرية مؤسفة لم يكن يدرى عنها شيئاً ولم تتكشف له أية إشارة إليها إلا بعد رحيلها المفاجئ عن الحياة، والدرس الذى ينبغى لنا أن نستخلصه من رسالتك ومن هذه القصة ومثيلاتها فى الحياة هو أنه ليست هناك حياة سرية يمكن أن تبقى طى الكتمان إلى ما لا نهاية. وأنه من الحكمة أن تخلو حياة المرء الخاصة مما يسوؤه أن يعرفه عنه الآخرون فى حياته أو بعد رحيله عن الدنيا.. إذا كان حقاً ممن يحرصون على احترامهم لأنفسهم واحترام الآخرين لهم فى الحياة.. ولذكراهم بعد رحيلهم عنها.

والكارثة هى أن بعض البشر لا يتصورون أن طائر الموت يمكن أن يحل فوق رؤوسهم فجأة.. فيهتك كل الأستار ويذيع كل ما أجهدوا

أنفسهم فى تكتمه وإخفائه من أسرار شخصية، مع أن كل الأسرار  
لا بد أن تتكشف بعد حين .

وقديماً قال الشاعر العربى :

ومهما تكن عند امرئ من خليقة

وإن خالها تخفى على الناس تعلم

غير أننى أقول لك بعد ذلك إن النبلاء من البشر هم الذين إذا  
أساء إليهم أحد تجاوزوا عن إساءته واستهدوا فى ذلك بمضمون  
الحديث الشريف الذى يقول لنا: «تجافوا عن عثرات الكريم»، أو  
سخطوا عليه إن عز عليهم الصفح . ولكن بغير أن يجرفهم السخط  
إلى هاوية الرغبة فى الانتقام منه وبغير أن يمدوا مظلة سخطهم عليه  
إلى الآخرين الذين لم يسيء إليهم إساءة مباشرة، ويطالبونهم  
بالانضمام إليهم فى موقفهم منه . . أو يعمدون إلى تشويه صورته أو  
ذكراه فى نفوسهم .

والزواج السرى أو الحياة السرية لزوجك التى طالت سبع سنوات  
ولم تكتشفى وجودها إلا بعد رحيله عن الحياة خطأ كبير ارتكبه  
زوجك فى حق الوفاء لك بغير جدال، ومن حقك بكل تأكيد أن  
تغضبى له . . وتشعرى بالسخط على مرتكبه بل وأن تهتز ثقتك  
لبعض الوقت فى قيم الحب والوفاء والإخلاص والعشرة الزوجية .

لكن ما ليس من حقك هو أن تسحبى غضبك لكرامتك الشخصية



من زوجك وصورته المثالية كأب عطوف لأبنائه فى مخيلتهم، ولو فعلت ذلك استجابة لنوازع السخط والرغبة فى الانتقام منه بأثر رجعى.. فإنك ترتكبين بذلك خطأ أكثر فداحة فى حق أبنائك ومعنوياتهم ومثلهم العليا فى الحياة، فالأبناء ياسيدتى لا يسعدون باهتزاز رمز الأب فى مخيلتهم.. ولا بالإساءة إلى ذكراه.. مهما يكن رأى الغير فيه. ولقد خسر الأبناء بفقد أبيهم خسارة إنسانية كبرى مهما يكن من أمره معك.. وليس من الرحمة بهم أن تضاعفى من أحزانهم على فقد أبيهم بتجريح ذكراه فاغفرى له إن شئت ما كان من أمره بعد أن أصبح بين يدى مولاه، أو اسخطى عليه كما تشائين إذا عجزت عن الصفح الآن، ولكن لا تصدمى أبناءك فى أبيهم، ولا تهزى مثاله الطيب فى نفوسهم وتحفظى فى «تحررك» من الحداد عليه أمامهم على الأقل لكيلا تجرحى مشاعرهم وتزيدى من أحزانهم وحيرتهم أمام حقائق الحياة المؤلمة..

فالحق أنه لا شىء يجرح قلب المحزون أكثر من أن يستشعر استهانة الغير وخاصه أقرب الناس إليه بأحزانه على من فقدته.

ولقد يكون من الأوفق لك أن ترجعى إلى عملك الآن لكى يشغلك عن أفكارك وهواجسك.. ورغبتك المؤرقة فى الانتقام لنفسك من الطعنة الغادرة التى تلقيتها فى وفاء زوجك لك.





قصب



أنا شاب فى الخامسة والثلاثين من عمرى أحمل مؤهلاً  
عالياً وأعمل عملاً حراً يتطلب منى السفر من مدينتى التى  
أقيم بها إلى عاصمة المحافظة.. وأنا أصغر إخوتى حيث إن  
لى خمس شقيقات.. وقد نشأت يتيماً إذ مات أبى وأنا فى  
السابعة من عمرى.. وأحوالى المادية معقولة ولدى مسكن  
جيد به كل الكماليات وأنا إنسان ملتزم وأحفظ نصف القرآن  
الكريم وأحافظ على دينى قدر المستطاع..

والمشكلة التى أكتب إليك بشأنها ليست مع زوجة أو أبناء  
أو إخوة أو أخوات وإنما مع أمى!

نعم أمى.. فهى تحبنى بطريقة مَرَضِيَّة مخيفة وترفض  
مجرد الحديث فى أى مشروع لزواجى، فإذا أخطأت إحدى  
شقيقتى - وكلهن متزوجات - وحدثتنى أمامها فى أمر  
زواجى، فىا ويلى منها بعد انصراف أختى وعودتها إلى بيتها  
إذ ما أن تنصرف حتى تنهال علىَّ أمى بأقذع الشتائم وتكشف  
رأسها وتدعو علىَّ بكل مصائب الحياة وتهددنى بغضب قلبها  
علىَّ إلى يوم القيامة إذا تزوجت قبل أن تودع هى الدنيا!..  
ومنطقها فى ذلك هى أنها قد ربنتى يتيماً وتحملت عبء  
رعايتى وحيدة ورعتنى وعلمتنى فكيف إذن تأخذنى منها -  
على الجاهز - امرأة أخرى؟

ولست فى حاجة لأن أحكى لك عن الجهود التى بذلتها شقيقتى وأقاربى وبذلتها أنا معها لكى تقبل بفكرة زواجى وتطلق سراحى فأتزوج قبل أن يتقدم بى العمر أكثر من ذلك، فلقد كانت فى كل مرة تتظاهر تحت ضغط الأهل والشقيقات عليها بالموافقة.. فما إن تظهر لى فتاة مناسبة وأشرع فى السعى لخطبتها حتى تهبط على أمى كل أمراض الدنيا ويصبح لا همَّ لى إلا الذهاب معها إلى طبيب والعودة من عند طبيب آخر.. وإجراء التحاليل والأشعات ونظّل على هذا الحال شهراً كاملاً أنفق فيه ما أكون قد جمعته من المدخرات خلال شهور من العمل الشاق. فما إن يفشل مشروع الخطبة أو يتعثّر أو أنصرف عنه حتى تتقدم صحة أمى خلال أيام.. وترجع دماء العافية إلى وجهها وتحسن نتائج التحاليل والأشعات بقدرة قادر.. وبعد أن تكررت نفس القصة أكثر من مرة بنفس تفاصيلها نصحتنى إحدى شقيقتى بأن أتقدم لإحدى زميلاتى فى العمل وأخطبها من أهلها فى «السر» أى بغير علم أمى ثم أحافظ على سرية الخطبة إلى يوم عقد القران وعندها تجد أمى نفسها أمام الأمر الواقع وعملت بالنصيحة وخطبت زميلة لى تصغرنى بخمس سنوات ووافق أهلها مشكورين على تكتم الخطبة حتى يوم القران.

وقبل عقده بأيام علمت أمى بالخبر فلم تقل شيئاً فى البداية لكنه



ما إن اقترب يوم القران حتى سقطت مريضة كالعادة وعانت من أزمة  
صحية خطيرة ظننت معها أنها فى النزاع الأخير وتعذر عقد القران  
بالطبع . . وحددنا له موعداً آخر فما إن جاء حتى حدث نفس الشيء  
وتأجل مرة ثانية وثالثة . . إلى أن اعتذر أهل خطيبتى عن عدم إتمام  
المشروع وأعادوا لى الشبكة والهدايا وشعرت بالأسى لنفسى . . وزاد  
من حزنى أننى رأيت أمى وهى تكاد ترقص طرباً بإرجاع الشبكة لى!  
لقد نصحنى صديق لى باستشارة طبيب نفسى فى حالة أمى،  
فسافرت إلى القاهرة بالفعل واستشرت طبيباً متخصصاً فنصحنى بالآلا  
أمانع فى زواج أمى إذا رغبت فى الزواج لأنها ربما تشعر بالغيرة  
علىّ، وأبلغت شقيقاتى بما قاله الطبيب فاعترضن جميعاً على فكرة  
زواجها لكبر سنها حيث أنها تجاوزت الخامسة والستين.

ومازال الحال كما هو عليه . .

ومازلت محروماً من حقى فى الزواج وإلا مرضت أمى وأشهدت  
السماء والأرض على غضب قلبها علىّ إلى يوم الدين . . فماذا أفعل  
ياسيدى؟

## ولكاتب هذه الرسالة أقول

لا شك فى أن والدتك تشعر تجاهك بنوع من الغيرة المرضية يدفعها إلى الرغبة فى الاستئثار بك لنفسها دون غيرها من البشر .

وفى رأى عالم النفس الأمريكى كولز أن الأم التى تتصف بمثل هذه الغيرة المرضية على ابنها هى أم مصابة بوسواس قهرى قد يدفعها ذات يوم إلى ارتكاب عمل شائن بعيد عن الحكمة والعدل، وقد يوشك فى بعض الأحيان أن يقترب من دائرة الإجرام . . وهى فى النهاية مريضة وليست شريرة بطبعها كما أنها حالة شاذة بين الأمهات قد تظهر لدى الأمهات الوحيدات اللاتى عكفن على تربية ابن وحيد أو ابنة وحيدة بعد ترملهن أو طلاقهن، أكثر مما تظهر عند غيرهن من الأمهات اللاتى عشن حياة زوجية طبيعية تقاسمن خلالها مسئولية تربية الأبناء مع أزواجهن .

وفى مثل هذه الحالة الشاذة فإن الأم تشعر أن ابنها هو كل عالمها فتغالى فى الاهتمام بأمره والعناية بشخصه وتغار عليه من كل نظرة، ولا ترضى منه ببعض اهتمامه، أو بعض وقته، وإنما تريده كاملاً لنفسها كل الوقت . . ولما كان انصراف مشاعره إلى امرأة أخرى



وزواجه منها سوف يتعارض بالضرورة مع هذه الرغبة المتوحشة فى  
الانفراد به دون العالمين فلا بد إذن من أن تسعى ولو بالحيلة إلى تدمير  
كل علاقة عاطفية جادة له مع أية فتاة.. وكل شروع للارتباط  
النهائى بها.. وفى سبيل ذلك قد تستعين بالحيلة والدهاء والابتزاز  
النفسى والعاطفى للابن لتحقيق هدفها..

ومثل هذه الأم يرى البروفسور كولز أنها تكون عادة واسعة الحيلة  
وماهرة فى التأثير على ابنها تأثيراً يفرق بينه وبين شريكته فى الحياة  
وكثيراً ما تلجأ إلى الكذب وتفسير الحقائق تفسيراً مغرضاً وقد تُصاب  
بسبب الغيرة القاتلة التى تنهشها على ابنها ممن ارتبط أو يعتزم  
الارتباط بها، بأمراض شتى فيجد الابن نفسه موزعاً بين نارين : البر  
بأمه والعدل مع شريكته، ولا عجب فى مرضها بهذه الأمراض  
الحقيقية لأن الخوف من فقد الابن فى مفهومها بزواجه من أخرى..  
يؤثر بالفعل على جهازها العصبى وعلى جسمها، وأنت يا صديقى  
الابن الوحيد بالرغم من وجود شقيقات لك لأم وحيدة ربك طفلاً  
بعد ترملها وبالغت فى الاهتمام بأمرك حتى خيلَ إليها أن من حقها  
امتلاكك والاستئثار بك وحدها إلى آخر أيام حياتها.. وهى علاقة  
مركبة ومعقدة وتحمل من الأنانية وحب التملك أكثر مما تحمل من  
الحب الحقيقى السليم الذى يسعد صاحبه بسعادة من يحبه وليس

بحرمانه من السعادة وحقه الطبيعى فى الحياة.. وهى قد تمرض بالفعل.. أو تستدعى المرض بعقلها الباطن كلما استشعرت خطر ضياعك من يدها.. كما أنها تبتزك عاطفياً بالتهديد بغضبها عليك إذا أقدمت على «خيانة» حبها الأنانى الزائف لك وتزوجت من أية فتاة.. وفى مجتمعاتنا الشرقية فإننا نجفل عن حق من غضب الأمهات والآباء ونخشى معه غضب السماء علينا ونتوقع له أوخم العواقب على حياتنا.. وكل ذلك صحيح لكن الدين يقول لنا فى نفس الوقت إنه لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق.. وإصرار والدتك على حرمانك من حقك العادل فى الزواج وإعفاف نفسك يعطل سنة الله فى خلقه وقد يوردك إذا استمر الحال على ما هو عليه موارد الرذيلة.

إذن فلا طاعة لها فى معصية ربك..

ولا خوف عليك من غضبها عند رب العالمين لأنه إنما يتقبل الله من المتقين، وليس من المخالفين لشرعه والمعطلين لسنته والحائث من حيث لا يدرون على الرذيلة. فابحث لنفسك عن فتاة محاربة مناضلة قوية الشكيمة لديها الاستعداد لأن تتحمل الحرب الضارية التى ستشنها عليها أمك فى البداية.. والمؤامرات التى سوف تحيك خيوطها ضدها وتحاول بها إظهارها أمامك فى أسوأ صورة..

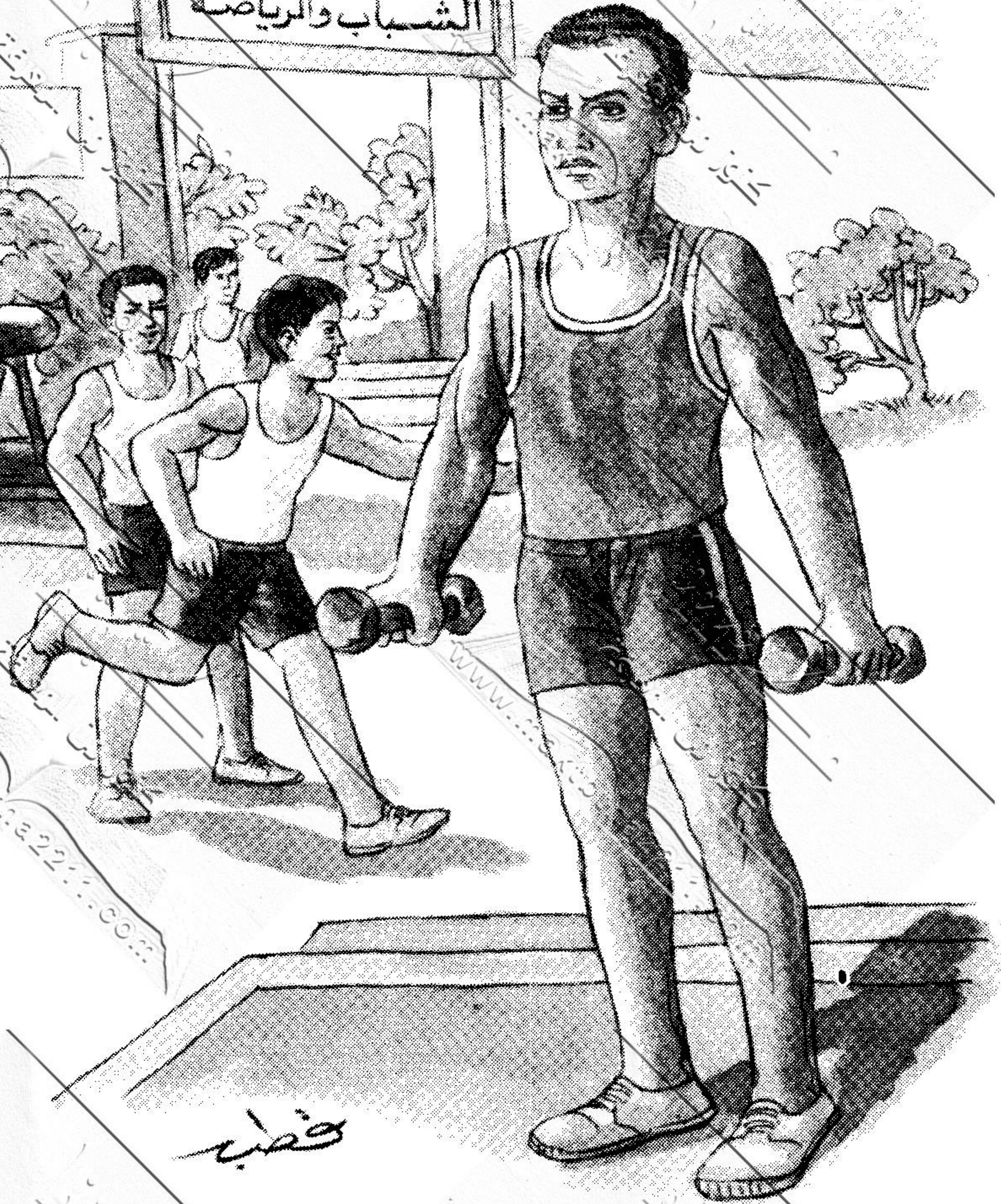


وتحمل أنت نوبات مرضها الاحتجاجى على زواجك، إلى أن ينطفئ لهب الغيرة رويداً رويداً فى قلبها وتسلم بالأمر الواقع فتقبل حقيقة أنك إلى جوار كونك ابنها المحبوب، فأنت أيضاً شاب له احتياجات نفسية وعاطفية لا تلبىها له إلا زوجة.. وبغير أن يتقص ذلك من قدر أمه لديه ولا من حبه لها أو دورها فى حياته..

فأما نصيحة الطبيب النفسى لك ألا تعارض فى زواجها إذا رغبت فى الزواج فإننى أؤيده فيها خاصة مع ما أشرت إليه فى رسالتك وحذفته منها عند النشر.. كما أنه ليس من المستبعد أن تفكر هى فى هذه الخطوة كعمل انتقامى «لخيانتك» لها بالزواج.. لكن تصورى أنها لن تمضى فى الشروط إلى نهايته وأنها سوف تكتفى بالتهديد به كمحاولة يائسة وأخيرة لمنعك من الزواج.. والأمر لله من قبل ومن بعد فى بعض أحوال النفس البشرية المتشابكة التى تستعصى أحياناً على الفهم والإدراك.



مركز  
الشباب والرياضة



خضاب



أكتب إليك بعد أن قرأت رسالة «تحية المساء» للسيدة الشابة التي روت قصة زواجها ممن أحبته منذ كان عمرها ١٧ عامًا . . . ورفضه والدها بعنف . . . واعتدى عليه بالضرب مرتين وعلى ابنته أكثر من مرة، فلم تتنازل عن حبها . . . وأصررت على ألا تخرج على طاعة أبيها وألا تتزوج من فتاها إلا برضا أبويها ولو طال بها الانتظار إلى مالا نهاية حتى لان الأب في النهاية وقبل بمن اختارته بعد ست سنوات وسعدت بحياتها ونعمت بحب زوجها ورضا أبويها بالرغم من كل ما جرى . . .

فلقد ذكرتني هذه الرسالة الممتعة بقصتي . . . فأنا شاب في السابعة والثلاثين من العمر نشأت في إحدى مدن الجنوب في أسرة متوسطة بين ثلاثة من الإخوة وفي كنف أب شديد القسوة في معاملة أبنائه ويطيع الجميع أوامره عن رضا أو رغماً عنهم . . . ولقد بدأت مشكلتي معه في سن مبكرة إذ كان لا يطيق أن يخالف أحد أبنائه أمراً له . . . وكان من أوامره لنا أن نرجع من المدرسة للبيت مباشرة وألا نخرج منه بعد العودة أيًا كان السبب . . . وكانت مشكلتي أنني أحب ممارسة الرياضة، فكنت أخرج من المدرسة إلى مركز الشباب في مدينتنا لممارسة بعض الألعاب، وأرجع إلى البيت فيكون عقابي الضرب الشديد المبرح والحرمان من المصروف، وفي

بعض الأحيان الطرد، فأذهب إلى بيت جدتى وأقيم فيه بضعة أيام  
وتستدعى جدتى ابنها أى والدى وتعاتبه على طرده لى فيسمح فى  
النهاية بعودتى للبيت.. وتمضى حياتى هادئة بعض الوقت ثم لا  
يلبث نداء الرياضة أن يغلبنى فتتكرر القصة بكل تفاصيلها من  
جديد.. وشيئاً فشيئاً وجدت نفسى منبوذاً من أبى وأمى التى  
تتضامن معه فى كل شىء سواء أكان على حق أم على باطل،  
ومنبوذاً كذلك من إخوتى ربما لأنهم اعتبرونى متمرداً.. وربما لأنهم  
جاملوا أبى بالتضامن معه فى نبذى.. المهم أن الأيام قد مضت بنا  
وأنا أشعر أننى القط الأسود الذى ينفر منه أفراد الأسرة لكنهم لا  
يحرّمونه بالرغم من ذلك من قوت يومه الضرورى!

وحصل شقيقاى على الثانوية العامة، فجاء لهما أبى باستمارات  
مكتب التنسيق وكتب بنفسه الرغبات التى أرادها هو لابنيه وكانت فى  
كليات محددة بالقاهرة لأنه كان يخطط لانتقال الأسرة كلها إليها بعد  
حصولى على الثانوية العامة خلال عامين.. وامثل الابنان لرغبة  
الأب بحماس حقيقى أو ظاهرى لا أعلم.. فاستأجر لهما شقة  
مناسبة فى القاهرة وأغدق عليهما بالنقود والملابس والهدايا..  
وانتظما فى دراستيهما وأصبحا نجمى الأسرة اللذين يعودان فى  
الأجازات فيُستقبلان بحفاوة كبيرة.. وتُمد لهما الموائد الحافلة  
احتفالاً بقدومهما..

وبعد عامين حصلت على الثانوية العامة.: وجاءنى أبى باستمارة



مكتب التنسيق وكتب فيها «الرغبات» التى رآها كالعادة وأخذتها منه لتقديمها للمكتب لكنى تجاسرت على خطوة رهيبة هى تغيير هذه الرغبات بما يتفق مع ميولى الدراسية وقدمتها للمكتب دون أن يعلم بما فعلت . . وجاء ترشيحى لكلية جامعية فى الجنوب فانفجر بركان الغضب من جانب أبى . . وحاول إثنائى عن رغبتى بكل وسيلة لكنى تمسكت بها فى أدب وإصرار فى نفس الوقت . . فكانت النتيجة أن حرمنى من الملابس والهدايا التى أحضرها لإخوتى عند الالتحاق بالجامعة، وتنبأ لى بالفشل المؤكد - فلم أعترض على شىء ولم أهتم أيضاً بما حرمت منه لأنه كان ثمناً متوقعاً لاختيارى أن أدرس ما أريد وليس ما يريده أبى لى، وأمضيت سنوات الدراسة متفوقاً بالرغم من قلة ما كان أبى يرسله إلى من مصروف بالمقارنة بما يعطية لإخوتى، وتخرجت فى كليتى وأديت الخدمة العسكرية بسلام وقام أبى بتوزيع بعض ماله على إخوتى ليشقوا طريقهم فى الحياة فحصل أخى الأكبر على نصيبه وسافر للعمل بإحدى الدول العربية كما كان يحلم لنفسه، وحصل أخى الذى يليه على نصيبه وتزوج به وأقام مع زوجته بإحدى المحافظات حيث يعمل. وتزوجت أختى وأنفق أبى على زواجها بسخاء كبير، ولم يبق سوى الذى لم يحصل على شىء . . وبدأت حياتى بالعمل فى القطاع الخاص لكى أبنى نفسى . . وبعد فترة من العمل اخترت شريكة حياتى من أسرة طيبة متوسطة الحال . . وفاتحت أبى برغبتى فاعترض عليها كالعادة، وأرادنى أن

أتزوج من ابنة أخته، وتمسكت باختياري فكان قراره هو أن أتحمل وحدي تبعات ذلك.. وتحملت بالفعل تبعات اختياري كما تحملت دائماً أقداري، وأثار شجوني أن صاحب العمل الذي أعمل معه كان أكثر حناناً بي من أبي في هذا الموقف الذي يحتاج فيه الشاب دائماً إلى أبيه ومساندته له..

وتزوجت زواجاً بسيطاً لا يتناسب مع ظروف أبي العائلية والمادية.. وأقمت في شقة صغيرة في حي عشوائي وأثثتها بأثاث قليل ورخيص، وسعدت بالرغم من ذلك بزواجتي وحياتي المتقشفة ولم أقصر في زيارة أبي وأمي وأداء واجبي تجاههما، وبعد عام من الزواج أنجبنا طفلة جميلة.. وأهدى إلينا بعض الأهل والأصدقاء هدايا ذهبية صغيرة احتفاءً بالمولودة.. وبعد شهرين مرضت الطفلة بنزلة معوية حادة والتهاب رئوي.. ولم تسمح لي إمكانياتي المحدودة بالإنفاق على علاجها كما ينبغي فتوجهت إلى أبي وطلبت منه في حياء أن يساعدني في نفقات العلاج.. فرفض قائلاً إنه ليس قادراً على المساعدة! وشعرت بمرارة شديدة وخجل أشد ورجعت من عنده مكسور القلب.. فأخذت زوجتي والطفلة وتوجهت إلى مستشفى «أبو الريش» للأطفال.. وقلت لنفسى إنه إذا لم تتسع لطفلتى رحمة أبي فلقد تتسع لها رحمة أطباء هذا المستشفى الجامعى.. وتم إدخال الطفلة للمستشفى على الفور لكن حالتها كانت متأخرة بسبب نقص العلاج في الفترة السابقة فتدهورت



صحتها سريعاً وتوفيت إلى رحمة الله بالمستشفى . وماتت أول فرحة لى ولزوجتى ، وحزنت على هذه الطفلة البريئة وحزنت زوجتى حزناً مريراً مؤلماً . . وبالرغم من ذلك لم أنقطع عن أبى وأمى لكن الإحساس المؤلم بأن هذه الطفلة قد «قتلت» بسبب قلة النقود اللازمة للعلاج راح يقض على مضجعى . . واستعنت بالصبر والصلاة والأمل فى رحمة أرحم الراحمين . . وبعد عام آخر أنجبنا طفلاً آخر خفف أحزاننا على الوليدة الراحلة ، وفرحنا به كثيراً . . وبعد ولادته بشهور استدعيت للقوات المسلحة وكنت قد عُينت فى وظيفة حكومية . . ولم يكن معى من النقود ما يكفى للسفر إلى حيث وحدتى العسكرية ولا ما أتركه لزوجتى خلال غيابى . فتوجهت لأبى وطلبت منه قرضاً صغيراً ترده إليه زوجتى أول الشهر حين تقبض مرتبى فى غيابى ، ومنحنى القرض وأعطيت بعض النقود لزوجتى وسافرت إلى وحدتى وجاء أول الشهر وتسلمت زوجتى مرتبى وفى نفس اليوم أصيب المولود الجديد بنزلة معوية شديدة وخشيت زوجتى أن تتكرر مأساة الطفلة الأولى فحملت الطفل لتذهب به إلى الطبيب فإذا برسول من عند أبى يطلب منها سداد القرض الذى اقترضته منه على الفور فتوجهت بالطفل المريض إلى بيت أبى ودفعت الدين ، واتجهت إلى المستشفى وفحص الأطباء الطفل ووصفوا له العلاج لكن النقود كانت قد تبخرت ولم يعد لديها ما تشتري به الدواء فتذكرت زوجتى الحلوى الذهبية الصغيرة التى أهديت للطفلة الأولى والتى

تحتفظ بها كذكرى غالية لها.. فباعتها دامعة، لتنفق ثمنها على علاج طفلنا.. واستجاب الله لدعائها فشفي الطفل ونجا من الخطر ورجعت من الاستدعاء فروت لى ما حدث.. بكل تفاصيله.. فتندت عيناى بالدمع.. وتساءلت بينى وبين نفسى: ولماذا يا أبى هذه القسوة معى وحدى من بين كل إخوتى؟.. وقبلت طفلى وشكرت ربى كثيراً أنه حماه مما كان يتهدهده..

وواصلت حياتى وعملى راضياً.. وصابراً.. وفى كل حين أزور أبى وأمى وأرعى شئونهما وألبى طلباتهما.. ولا أعاتبهما فى شىء.. ووفقنى الله بعد قليل للعمل فى القطاع الخاص فى الفترة المسائية بعد انتهاء عملى الحكومى.. فانتعشت أحوالى المادية بعض الشىء.. وبدأ جفاف حياتنا يترطب ببعض الخير، فإذا بأبى يمرض مرضاً شديداً ويُصاب بنزيف من دوالى المرئ وبالسكر والكبد.. وإذا بى أبدأ معه رحلة العلاج الطويلة بين المستشفيات وفى البيت وأقيم معه بالمستشفيات أياماً كثيرة بين إجراء التحاليل، وبين الرعاية المركزة والعلاج.. وأنفق أبى على علاجه معظم مدخراته.. ولم يجد سوى إلى جواره أعتنى به وألزمه فى المستشفيات وزيارة الأطباء وفى البيت فى حين اكتفى إخوتى بزيارات متباعدة وبالسؤال بالتليفون، ونتيجة لذلك فقدت عملى المسائى لعجزى عن ترك والدى.. ولم أحفل بذلك بالرغم من حاجتى إلى دخلى منه.. وتفرغت لأبى



ونسيت كل ما كان من أمره معي . . وكيف لا أنسى وهو أبى سواء  
كان رحيماً بى أو قاسياً على . . لقد توقفت فى رسالة السيدة الشابة  
«تحية المساء» أمام المشهد الذى ارتمت فيه على صدر أبيها تُقبله  
وتحتضنه وتشكره حين وافق فى النهاية على زواجها ممن اختارته . .  
فبدت الدهشة على وجهه كأنه لا يصدق أن ابنته مازالت تحبه بالرغم  
من كل ما فعله بها ومعارضته لزواجها طوال ست سنوات . .  
وتذكرت أننى رأيت نفس هذه الدهشة المختلطة بالخجل على وجه  
أبى وأنا أخدمه فى مرضه وأدعو له بالشفاء وأقول له إننا لا نساوى  
شيئاً بدونه . . ولقد كنت صادقاً فيما شعرت به وعبرت عنه . . وكان  
هو يشعر بشيء من الاستحياء منى ، والحمد لله فإننى لم أقصر فى  
واجبى تجاهه . . ورحل عن الحياة وهو راض عني تماماً . . ولقد  
حزنت على وفاته كثيراً . . وشعرت لدهشتى بأننى قد أصبحت بلا  
سند فى الحياة . . مع أنه لم يساعدنى فى حياتى . . والمشكلة الآن  
هى أن زوجتى تطالبنى بالسفر للعمل بالخارج لتحسين أحوالنا التى  
لم تتغير كثيراً، وتأتىنى من حين لآخر بفرص للعمل فى الخارج عن  
طريق بعض أقاربها . . لكن والدتى قد أصبحت وحيدة الآن وليس  
إلى جوارها أحد من أبنائها سوى ولا يقوم بشئونها غيرى وإخوتى  
كلهم بعيدون بالسفر للخارج أو إلى محافظة أخرى . . وأنا فى  
حيرة من أمرى إذ إننى لو سافرت للخارج فلن يرعى أمى ولن يسأل  
عنها أحد . . وزوجتى تطالبنى بأن أعمل ما فى صالحى وصالح

أسرتى كما يفعل إخوتى لمصلحتهم بالرغم من كل ما أعطاه لهم أبى  
وأمى دونى، وتقول لى إنهم جميعاً يعيشون حياة مريحة ومن حقى  
وحق أسرتى الصغيرة أن نتطلع لبعض الرخاء.. وأنا حائر بين  
إرضاء أمى وربى وبين حق زوجتى وأولادى فى العيش الكريم بعد  
صبر طويل معى على حياة التقشف والجفاف.. فبماذا تشير على  
خاصة أن زوجتى من قرأء بابك وتقتنع بآرائك؟.



## ولكاتب هذه الرسالة أقول

لا عجب فى أن تبر أباك وتقف إلى جواره فى مرضه وضعفه  
وشيخوخته بالرغم من كل ما كان من أمره معك فى السنوات الماضية  
فالشاعر العربى يقول:

أفعال كل امرئ تنبى بعنصره

والعين تغنيك عن أن تطلب الأثرا

كما أننا لا نتعامل مع الأبوين بمبدأ المعاملة بالمثل الذى قد نتعامل  
به فى الحياة مع الغرباء، وإنما نتعامل معهم بما أمرنا به الله سبحانه  
وتعالى من إحسان صحبتهم والرفق بهما لو جاهدانا على أن نعبد  
غيره.

فإن كان فى رسالتك ما يستحق التأمل أكثر فهو أن يكون أقل  
الأبناء نيلاً لعطاء الأب ونهلاً من نبع حنوه وحنانه هو أرفقهم به  
وبأمه وأكثرهم حرصاً على أداء واجبه الدينى والإنسانى تجاههما..  
غير أنه لا عجب فى ذلك مرة أخرى لأننا لا نعطى أبويننا على قدر  
المغنى منهما.. وإنما بقدر ما تمليه علينا فطرتنا السليمة ووجداننا  
الدينى وضميرنا الأخلاقى.

ولا شك فى أن والدك قد أخطأ فى حقك خطأ جسيماً حين  
حرملك من حقك المشروع فى ماله . . ولم يسو بينك وبين إخوتك  
فى العطاء . . ، وحين أشعرك بالنبذ طوال حياتك ومطلع شبابك . .  
وأيضاً حين رغب فى فرض إرادته عليك فى نوع الدراسة واختيار  
شريكة الحياة بغير أن يتيح لك أى مجال للمناقشة والاعتناع بما يراه  
هو من وجهة نظره خيراً لك . . فأما قبضه ليده عن مساعدتك حين  
كنت فى أشد الحاجة إلى عونه لك لعلاج طفلتك الأولى . . فليس  
مما يغتفر لأى أب بل لأى إنسان فى الوجود قادر على العون فى مثل  
هذه الظروف المؤلمة .

لقد أمرنا رسول الله صلوات الله وسلامه عليه أن نعدل بين أبنائنا  
ولو فى القُبل . . وبأن نعين أبنائنا على البر بنا بالرفق بهم والعدل  
معهم .

فبررت أنت بأبيك بالرغم من أنه لم يعنك كثيراً على ذلك  
بالعدل معك ، ومن كان هذا شأنه مع أبيه الذى حرمه لا يستطيع فى  
ظنى أن يتخلى عن أمه الوحيدة التى يرعاها فى شيخوختها ويقوم  
بكل شئونها لكى يجرى وراء أمل غير مؤكد فى العمل بالخارج .

ولا غرابة فى ذلك فمن كان ابناً باراً بأبيه الذى قسا عليه لا  
يستطيع إلا أن يكون كذلك ابناً عطوفاً رحيماً بأمه التى لم تسهم فى  
معاناته سوى بالعجز عن دفع الأذى عنه لضعفها أمام الأب القوى



المسيطر. وفي تقديري أن عروض العمل في الخارج لا تتزاحم عليك الآن بالصورة التي توحى بها كلمات زوجتك لك، وإنما هو مجرد أمل أو حلم يراودها عند المقارنة بين حظك في الحياة وحظوظ إخوتك منها، فيشير هذا الصراع الذي لا داعى له بين واجبك تجاه أمك وبين حقك في الحياة والعيش الكريم.

فلتعفك إذن زوجتك من صراع لا جدوى منه الآن سوى المعاناة وإيغار الصدور وإثارة المرارة في نفسك تجاه إخوتك الذين شاءت لهم أقدرهم أن يعملوا ويقيموا في أماكن بعيدة عن مقر إقامة الأم، فإذا كانت أقدارك قد جعلت منك الابن الوحيد المقيم إلى جوار الأم في ضعفها ووحدتها فلأن السماء قد أرادت أن تهبك فضل رعاية الأم في شيخوختها لتضيف ذلك إلى سابق فضلك في رعاية الأب في مرضه وضعفه وتثقل بهما موازينك في الدنيا والآخرة.

وشمس الأم يا صديقي لا يطول إشراقها في السماء إلى مالا نهاية، وهي إن غابت لن تشرق على الدنيا مرة ثانية للأسف.

أما فرص العمل في الخارج والداخل فإنها تذهب وتجيء.. ولقد يأسى المرء على فرصة ضاعت فيجئ اختيار الله له بأفضل مما كان قد اختاره لنفسه وبكى على فواته، ورعاية الأم الوحيدة في الدنيا «جهاد» يجزى الله عنه صاحبه بما يجزى به المجاهدين في سبيله.. فلقد وضع الرسول الكريم صلوات الله عليه وسلامه الجهاد عمن له

أب شيخ أو أم عجوز لا يقويان على فراقه، وردّ من جاءه مجاهدًا  
على غير إرادة أبويه الشيخين قائلاً له: ففيهما فجاهد!

وأنت تستطيع أن تعمل لصالح أسرتك وصالحك كما تطالبك  
زوجتك بغير أن يتعارض ذلك مع حق أمك عليك إذا أتيح لك  
العمل المسائي الذي يزيد من دخلك، أو إذا رجع أحد إخوتك  
للإقامة في القاهرة.. أو إذا كانت والدتك قادرة في النهاية على  
رعاية نفسها واحتمال وحدتها وظروفها وأذنت هي لك بالسفر  
بنفس راضية وليس عن حرج أو تضحية.

فاختر لنفسك ما تراها جديرة به.. فلقد دفعت ثمنًا غاليًا  
لتمسكك بأن تختار حياتك بإرادتك الحرة وليس بإرادة أبيك فيما أراد  
اختياره لك من قبل. ومن كان هذا حاله.. يعرف بالضرورة أن لكل  
اختيار تبعاته التي يقبل بها راضيًا ويتحمل عناءها..

وما أحسب إلا أنك سوف تختار ألا تتخلى عن والدتك في  
ضعفها وشيخوختها وأن تنتظر جوائز السماء العادلة لك على هذا  
الاختيار وعلى برك بأبيك وحسن مصاحبتك له من قبل.



شاءت لى أقدارى أن أحتاج إلى مشورتك، وقد كنت أظن من قبل وبالرغم من مداومتى على قراءة بابك أن المرء العاقل المثقف أقدر دائماً على فهم جوانب مشكلته وحلها الحل المناسب من غيره.. وهاقد أثبتت لى الأيام خطأ ظنى.. ووجدتنى عاجزاً عن اتخاذ قرار بشأن حياتى وأحتاج إلى مشورتك فيها.

فأنا مهندس تجاوزت الثامنة والأربعين من عمرى بشهور.. كنت أعيش مع زوجتى الأستاذة الجامعية.. وابنى الطالب بالسنة الأولى بكلية مرموقة - حماه الله - وابنتى الطالبة بالسنة الأولى الثانوية.. أخرج إلى عملى بشركة أجنبية بالمدينة الساحلية التى نقيم فيها فى الصباح، فيأخذ عملى كل وقتى ولا أرجع إلى البيت إلا فى المساء، فأسعد بأسرتى الصغيرة المتحابة ونجلس للعشاء نتبادل الأحاديث العذبة عما حدث لى ولأفراد الأسرة خلال يومنا.. وأدع شئون البيت والأسرة كلها لزوجتى تديرها بحكمتها كيفما تشاء من مأكلى وملبس ونزهات ودروس للأبناء.. وتستشيرنى فيما يعرض لها من أمور فأوافق غالباً على رؤيتها.. وأقوم بالإنفاق.. وتتولى هى التنفيذ.. وهى قوية الشخصية وعنيدة فى طلباتها ولا تلين بسهولة إذا اقتنعت برأى..

أما فى المساء فهى زوجتى وحبىبتى وسكنى وراحتى . . ومضت بنا الأيام بحلوها ومرها وأدينا فريضة الحج معاً قبل سبعة أعوام . . ورحل أبى عن الحياة وقد كان نعم السند والمشير - يرحمه الله - فحزنت لفراقه كثيراً . . وحججت عنه فى العام التالى . . ورجعت من الحج وأنا أكثر حباً وتعلقاً بزوجتى فصارحتها بأن فترة بعدى عنها قد أكدت لى عمق تعلقى بها وعدم قدرتى على فراقها ورجوتها مراحاً ألا تستغل فى هذا الضعف تجاهها . . وتوالت الأيام رغبة هائلة . . وحقق ابنى وهو قره عين والدته أملنا فى التفوق فى الثانوية العامة . . والالتحاق بنفس الكلية العملية المرموقة التى تخرجت فيها أمه . . وتبعته أخته على طريق التفوق وهى شديدة التعلق بأمها إلى حد أن كانت لا تنام فى كثير من الأحيان إلا بجوارها . . وحتى كنت أمازحها قائلاً لها إنها تحرمنى بذلك من زوجتى وحبىبتى .

والدنيا جميلة . . وزوجتى فى قمة صحتها وتألقها وجمالها تنتظر فى شوق الترقية إلى وظيفة أستاذ بكليتها . . والأيام قد لانت لى فتحسنت أحوالى المادية والعملية . . ونحن نقيم فى شقة جميلة بعمارة يملكها أبى رحمه الله . . وقد طلب منى قبل رحيله عن الدنيا وعداً منى له ألا يدخل عمارته غريب عنا . . حيث لا يقيم فيها إلا الإخوة ولكل منهم إلى جانب شقته شقة إضافية لأبنائه فى المستقبل .



ومنذ ثلاثة أشهر وقفت زوجتى أمامى تضحك وتتحدث عن المستقبل والمكان الذى سنقضى فيه أجازة الصيف المقبلة.. وعن زميلة لها مصابة بالمرض اللعين وتستعد للسفر إلى لندن للعلاج وإجراء الفحوص.. وفجأة وجدتها تجلس على المقعد وهى لا تستطيع التنفس.. وتقول لى إن قلبها يتوقف.. ثم تنطق بالشهادتين.. وتغيب عن الوجود الغياب الأبدى.. وكل ذلك فى ٥ دقائق فقط وأنا لا أصدق ما يجرى أمامى.. ولا أملك لها نفعاً.. ولا أستطيع أن أدفع عنها هذا الزائر الغامض الذى قوَّض سعادتى وسعادة أسرتى واختطف زوجتى أمام عيني..

وزلزل الحدث كيانى كله وشعرت بياس شديد من كل شيء، وأدركت أن الحياة ما هى إلا لهو ولعب وزينة ثم لا شيء بعد ذلك.. وتماسكت ظاهرياً أمام الناس وأبنائى.. ورحت أدعو لزوجتى الراحلة فى صلاتى وأناجى ربي بالدمع أن يرضيها ويرضى عنها ويدخلها جنته ويجمعنى بها فى مستقر رحمته بإذن الله مصداقاً لقوله تعالى: «هم وأزواجهم فى ظلال على الأرائك متكئون».

والآن فإننى أواجه الحيرة فيما أصنع بنفسى وحياتى بعد غياب زوجتى عنى.. فابنى كبير بما فيه الكفاية ويستطيع أن يكمل مشواره بإرشاد بسيط من جانبى.. أما ابنتى فلا تزال تحتاج إلى الرعاية وأحاول الآن بكل جهدى أن أملأ فراغ أمها فى حياتها.. والأسئلة

الحائرة التى تتردد داخلى الآن هى : هل أعيش لابنتى وابنى حتى التخرج وزواج كل منهما وسوف يستغرق ذلك عشر سنوات تقريباً . . . فيكون عمري حينئذ ٥٨ عاماً . . . فأعيش من بعدهما وحيداً أجتر ذكريات السعادة القديمة؟ أم هل أبحث عن زوجة لى تكمل معى مشوار الحياة فتكون زوجة أب لولدى وابنتى وما أدراك ما زوجة الأب خاصة بعد أن تنجب؟

أم هل أتزوج مطلقة لا تنجب منى فنتقاسم معاً بقية العمر وتكون أمّاً ثانية لأبنائى وأكون أباً آخر لأبنائهما؟ ، وإذا فعلت ذلك فهل يكون الزواج فى شقتى الحالية التى شهدت رحلة العمر مع زوجتى الراحلة . . . أم فى شقة خارجية . . . لتكون زوجة الأب بعيدة عن أبنائى؟ إننى لا أعرف أى طريق أسلكه ولا أين أجد الزوجة الملائمة لى خاصة أن عملى بعيد عن الاختلاط بالناس ، مما يجعل الاختيار والمفاضلة أمرين شبه مستحيلين؟

أرجو النصيح والإفادة . . . وشكراً.



## ولكاتب هذه الرسالة أقول

كلنا فى حاجة إلى مشورة الآخرين فى أمورنا يا صديقى . . غير أن هدوء الموج قد يوهمنا فى بعض الأحيان أننا فى مأمن من العواصف . . فإذا اضطرب البحر فجأة فزعنا بسفننا إلى المرافئ نلتمس فيها الأمان . . ونستعين بتجارب الآخرين وخبرتهم على اختيار المسار الآمن لها عند مواصلة الرحلة من جديد .

ولا شك فى أنك تقف الآن فى مفترق للطرق يتطلب منك الحكمة والرشاد فى اختيار المسار الجديد لسفينة حياتك وحياة ابنتيك خلال المرحلة المقبلة من العمر . . غير أن آثار العاصفة التى زلزلت أركان حياتك لم تزل قريبة فى الأفق . . ولم يمض بعد الوقت اللازم لاستيعاب ما جرى . . وترميم ما أتلفته العاصفة فى نفوس ركاب الرحلة . . قبل التهيؤ لاستئنافها من جديد . واتخاذ قرار متعجل الآن بشأن حياتك سوف يكون متأثراً غالباً بحالة الفراغ العاطفى والإنسانى الكبير الذى تعانىه حالياً بسبب الغياب المفاجئ لشريكة العمر ، وقد يقودك التعجل فيه إلى مهاوى سوء الاختيار لنفسك أو لأبنائك . . لهذا فإن نصيحتى المخلصة لك هى أن تمنح نفسك

أولاً الوقت الكافى لاسترداد سكينه النفس والقلب وصفاء التفكير بعد الصدمة المزلزلة التى اعترضت حياتك، ثم تبدأ بعد فترة النقاها النفسية الضرورية، التفكير فى مستقبل أيامك.. ذلك أنك سوف تحتاج أول ما تحتاج إلى إشراك ابنك معك فى الاختيار لحياتك المقبلة.. لكى يكون قرارك بشأنها مقبولاَ منهما ويتمتع بتأييدهما له..

ومفاتحتك لابنك الآن وبعد ثلاثة أشهر فقط من رحيل أمهما عن الحياة فى أمر مستقبل حياتك بعدها.. قد يصدم مشاعرهما ويتعارض لديهما مع الاحترام الواجب لذكرى الأم الغالية.. أما حين تمضى الفترة الكافية.. ويلمس الابنان معاناتك لوحدتك.. واحتياجك الإنسانى لمن تعيد إليك الإحساس بالأمان والثقة فى المستقبل.. ويلمسان كذلك أثر افتقاد دور ربة الأسرة فى حياتهما الشخصية.. فلسوف يكونان مهياين نفسياً وإنسانياً لبحث الأمر والتداول معك فيه.. ولقد يترفقان بك ويحثانك على التماس السلوى والعزاء عن وحدتك فى رفقة جديدة للحياة.. وفارق كبير بين أن يجىء الاقتراح من جانبهما رفقاَ بأبيهما وحباً له، وبين أن يضعهما الأب فى مثل هذا الحرج الإنسانى بعد ثلاثة أشهر فقط من مغيب شمس أمهما عن الحياة..

وحين يجىء الأوان للاختيار فقد يكون من الحكمة أن تدع القرار



بشأن «شكل» الحياة الزوجية المقبلة لك لابنيك بالتشاور معك . . .  
فتعرف منهما هل يقبلان بأن تحل سيدة أخرى محل أمهما في حياتك  
وحياتهما ويرجع شكل الأسرة الكامل إليهما . . أم يفضلان لك  
ولنفسيهما أن تكون لك حياة زوجية مستقلة عنهما وفي مسكن آخر  
بعيد عن موطن ذكريات الأم الراحلة؟

ولقد تكون البداية التي يفضلانها الآن هي الحياة الزوجية المستقلة  
لك في مسكن آخر مادمت قادراً على ذلك، ولقد يكون العكس . .  
أو قد تكون البداية «مستقلة» ثم لاتلبث شخصية الزوجة المقبلة إذا  
كانت رحيمة وحكيمة أن تجتذبهما إليها حتى ليفضلا أن تشاركهما  
الحياة وتعوضهما عن دور الأم الغائب في حياتهما . . وفي كل  
الأحوال فإن حسن الاختيار كفيل بتفادي كل الأشواك والهواجس  
التي تراودك الآن بشأن زوجة الأب المقبلة، وكم من زوجات للأب  
كنَّ نعم التعويض النفسى للأبناء الذين حرموا من أمهاتهم . . وكم  
من غيرهن أيضاً قد ضاعفن من شعور الأبناء بفداحة خسارتهم  
لأمهم . . غير أن الفضليات كثيرات وخير الزيجات في مثل ظروفك  
الحالية هي من قدمت الحل الملائم لمشكلة الطرفين معاً . . وليس  
لمشكلة طرف على حساب طرف آخر . . وفي ذلك فلقد تكون المطلقة  
أو الأرملة القرية منك في العمر والظروف العائلية والاجتماعية هي  
أفضل الاختيارات المرشحة للنجاح والاستمرار . . والقبول من  
الأبناء .

أما الانتظار لعشر سنوات حتى يتخرج الابنان ويتزوجا.. فليس  
من الحكمة فى شىء لأنك لن تطيقه.. وأنت الذى يؤرقك الآن  
بحث مستقبل حياتك بعد ثلاثة أشهر من رحيل الزوجة الغالية.  
والأوفق هو أن تصبر على ظروفك بعض الوقت ثم تختار لحياتك  
ما يعيد إليها السعادة والأمان بإذن الله.



أنا سيدة أقرب من الأربعين، نشأت في أسرة متوسطة الحال وكنت الابنة الوحيدة بين إخوة لأب وأم طيبين ويتعاملان مع الحياة بلا خبث ولا التواء. ولأئني الابنة الوحيدة فلقد تمتعت بشيء من التدليل من جانب أبي وأمي ووقفت أُمى إلى جوارى حتى أنهيت تعليمي الجامعي وعملت.. وكنت كغيري من الفتيات أنتظر منذ وقت طويل فارس الأحلام الذي سيجيء راكبًا سيارة فاخرة ويقيم في فيلا فخمة لكي يخطف قلبي وأعيش معه في سعادة وهناء.. واستغرقت في أحلام اليقظة فطال انتظاري دون أن يجيء هذا الفارس المنتظر، ورفضت بسبب خيالي المريض هذا كل من تقدموا لي لغير أسباب جوهريّة في شخصياتهم.. وفي كل مرة أرفض فيها عريسًا تبكي أُمى بحرقة وترجوني هي وأبي أن أقبل لكيلا يتأخر بي العمر دون زواج.. وكان من بين من رفضتهم صديق لأخي الأكبر، وكان سبب رفضي له أنه موظف محدود الإمكانيات ولا تتوافر فيه صفات فارس الأحلام من مسكن فاخر وسيارة فاخرة ورصيد في البنك.. فمضى بي العمر حتى بلغت سن الثلاثين دون زواج، ثم جاء أخى ذات يوم وأبلغني أمام أبي وأمي أن صديقه الذي سبق له أن تقدم لي قبل ست سنوات لم يوفق في الزواج ويريد أن

يتقدم لى من جديد.. فزاح أبى وأمى يضغطان على لقبوله ويهدداننى بأن يغضبا علىّ حتى الموت إن لم أستجب لهما.. وشاركهما إخوتى الرجال فى ذلك والتهديد بالمقاطعة إذا رفضت.. وإزاء هذا الضغط الشديد قبلت بالزواج من هذا الصديق وأنا كارهة له.. وتم الزواج فى وقت قصير، حيث كان يملك شقة كاملة الأثاث بالرغم من ضعف إمكانياته.. وانتقلت إلى عش الزوجية بعد أسابيع قليلة.. وبدأت حياتى الزوجية معه بلا حماس ومضت أيامنا وشهورنا الأولى وأنا كارهة لزوجى لا أتحدث معه إلا نادراً ولا ألبى طلباته.. ولا أتناوب معه فى شىء.. ولا أحفل بشىء يسعده ولا أحزن لشىء يؤلمه.. ولا أشاركه مشاعره وأحلامه وأفكاره.. ولا أجامله فى أى شىء بل أثور عليه بعصبية شديدة كلما دعانى لذلك داع مهما يكن تافهاً.. فى حين يرد علىّ هو بهدوء شديد.. ويحاول الاعتذار عما أغضبنى وإن لم يكن قد أخطأ فى شىء.. ولاحظت أمى جفاء معاملتى له ونصحتنى بإحسان عشرته.. فلم أستجب لها وكان من الطبيعى أن يتأكد زوجى من كراهيتى له.. ويضيق بسوء معاملتى معه.. ويفقد صبره علىّ ويطلقنى بعد بضعة شهور، لكنه لم يفعل ولم يشك من سوء معاملتى لأحد من أهله أو أهلى.. بل كان يثنى علىّ ويشيد بأخلاقى.. ثم شاءت إرادة الله أن حملت بمولودى الأول.. وبدلاً من أن أسعد بحملى كما تفعل كل



النساء فقد شعرت بالحزن والاكتئاب وحاولت إجهاض حملى  
ببعض الحيل المألوفة فى هذا الشأن.. فلم تنجح محاولتى..  
واستسلمت لمصيرى وجاء مولودى فى موعده طفلاً جميلاً،  
فسعد به زوجى سعادة طاغية ورأيت فرحته الطفولية به فرق  
قلبى له لأول مرة.. وبدأت ألاحظ طيبة قلبه وحنانه ورقته..  
وسألت نفسى لماذا قسوت عليه وجفوته على هذا النحو لمدة  
عامين كاملين ولغير سبب سوى أن أحلام يقظتى السابقة لم  
تتجسد فيه؟ وماذنبه هو فى هذه الأمنيات والأحلام التى قد  
تراود أية فتاة.. وقد جاءنى بطرق بابى من الطريق المشروع  
وقبلت به وشاركته حياته؟ وبدأت أغير طريقة تعاملى معه  
وأستجيب لطلباته.. وبدأت أستمع إلى حديثه وذكرياته وآرائه  
وأحلامه فإذا بى أكتشف فى حديثه متعةً عجبت لنفسى كيف لم  
أكتشفها من قبل وإذا بى أكتشف فيه إلى جانب طيبة قلبه ورقته،  
رجاحة العقل والرأى الصائب.. وأنه موضع احترام كل من  
يتعاملون معه وموضع ثقتهم..

وتغيرت نظرتى إليه تغيراً كاملاً.. وشعرت بسعادة جميلة فى  
الحياة معه لم أستشعرها من قبل.. وأصبحت الأوقات الثقيلة  
التي كانت تمضى بى وهو فى البيت أوقاتاً سعيدة وخفيفة..  
وأصبحت لا أطيق البعد عنه لفترات طويلة بعد أن كنت أفعل

الأسباب للخروج وحدي ولرفض خروجه معي أو لقضاء بضعة أيام  
في بيت أهلي ..

وسألته ذات يوم ونحن في لحظة صفاء لماذا صبر على طوال فترة  
مجافاتي له ولم يطلقني؟، فأجابني بهدوء بأنه يحبني منذ تقدم  
لطلب يدي لأول مرة قبل سنوات .. وأنه كان واثقًا بالرغم من  
جفائي له من طبيتي وأخلاقي ويأمل في أن أتغير للأحسن مع  
الأيام .. فلم أتمالك دموعي، وشعرت بالندم لرفضى له في المرة  
الأولى قبل سنوات ولمجافاتي له بعد الزواج. وأقبلت على حياتي  
معه بكل الحب والإخلاص والرغبة في السعادة. وأنجبت منه طفلة  
ثانية .. واختفت المشاجرات والخصام من حياتنا نهائيًا .. وسعدت  
أمي وأبي بسعادتي واستقرار حياتي سعادة قصوى .. ثم رجع زوجي  
من عمله ذات يوم مجهدًا فسألته عما به فأجابني بأنه مجرد  
إرهاق سوف يزول بعد الراحة .. وبالفعل استسلم للنوم ساعتين  
ونهض .. وتكررت بعد ذلك نوبات الإجهاد والإرهاق من حين  
لآخر، وكلما ساورني القلق وسألته عما يحس به طمأنني إلى أن  
كل شيء على ما يرام وليس هناك ما يدعوني للقلق .. واستمر الحال  
على هذا النحو حوالى عامين .. ثم تسارعت الأحداث أمامي  
وأنا مشدوهة لا أصدق ما يجري .. فلقد تكررت الأزمات  
وتقاربت .. وهو يصر على أنه لا يعاني شيئًا سوى الإرهاق،



ويشغلنى عن الحديث فى هذا الأمر بمداعبتى .. ومداعبة  
الطفلين والحديث عن أمنياته لهما فى المستقبل إلى أن جاء اليوم  
الذى استسلم فيه للمرض فجأة ونقل إلى المستشفى وأمضى به  
أسبوعين، ثم انطفأت شمعته ورحل عن الحياة بعد سبع سنوات من  
زواجى منه .. وانهرت أمام الكارثة انهياراً تاماً وأصببت بحالة  
اكتئاب شديدة، وتمالكت نفسى بصعوبة لكى أرى الطفلين اللذين  
وهبهما لى الله من هذا الإنسان .. وأرى فيهما ملامحه الطيبة  
وروحه النبيلة ..

وفسر لى أخى الأكبر بعد ذلك ما استعصى على فهمه من هذه  
الأحداث المؤلمة، فقال لى إن زوجى قد أصيب بأزمة صحية ذات يوم  
منذ عامين وفحصه الأطباء فاكتشفوا إصابته بمرض خطير وتأخر  
حالته، وأنه راح يتداوى من دائه ويتردد على الأطباء والمستشفيات  
ومعامل التحاليل وهو يتكتم عنى مرضه لكيلا أنزعج أو أشعر بالقلق  
والخوف من المستقبل .. إلى أن هزمه المرض فى النهاية وانتقل إلى  
جوار ربه راضياً مرضياً يرحمه الله.

فهل رأيت يا سيدى إنكاره لذاته حتى وهو فى أشد حالات الألم  
والمرض والمعاناة؟

إننى لا أعترض على قضاء الله وقدره .. لكنى حزينة على فترة

العامين التى جافيت فيهما المرحوم زوجى وكرهته بلا ذنب جناه..  
وأسأت معاملته.. وجفوته..

بل إننى حزينة على السنوات التى أضعتها من عمرى حين رفضت  
قبوله زوجاً لى قبل أن أرتبط به بست سنوات.

وأتساءل الآن: ماذا لو كنت قد قبلت به.. وعشت معه فى  
سعادة وأمان إلى أن اختاره ربه إلى جواره؟.. ألم أكن قد أضفت  
بذلك إلى سنوات السعادة القليلة التى عشتها معه ثمانية أعوام  
كاملة؟

أولم تكن هذه السنوات الإضافية من السعادة قد أصبحت لى الآن  
زاداً جديداً يعيننى على احتمال الحياة؟

إننى أنصح كل فتاة بأن تتواضع بشأن فارس الأحلام الذى  
تنتظره.. وأن تتخلى عن التكبر والغرور فقد تكتشف السعادة مع  
أبعد الأشخاص عن نموذج فارس أحلامها.. والسلام عليكم ورحمة  
الله وبركاته.



## ولكاتبه هذه الرسالة أقول

زوجك الراحل يا سيدتى واحد من هؤلاء الأشخاص الذين يعبرون الحياة كما تعبر النسائم الرقيقة بالوجوه فى حر يوم قائف فتلف من إحساسها بالهجير، وتترك وراءها أطفب الأثر. . وأمثال هؤلاء الأشخاص يتسمون غالباً بإنكار الذات والصبر على المكاره وقلة مطالبهم من الآخرين ومن الحياة، وتقبلهم لأقذارهم فيها بلا سخط ولا أنين، كما يتسمون كذلك بتطلعهم المحروم غالباً للسعادة. . ورغبتهم فى إسعاد الآخرين وتسامحهم مع الحياة فيما ضنت به عليهم وبالقدره على العطاء للغير والرفق بهم.

ومن أسف أن عبورهم بالحياة يكون سريعاً متعجلاً فى كثير من الأحيان ولو طال بهم المقام لزادوا من مساحة الحب والخير والجمال فيها، وقللوا من مساحة القبح والشر والمعاناة. . لكن متى استقر طيف عابر فى مكان واحد؟

فإن كان ثمة ما يستحق الحزن عليه بالفعل. . فهو أننا قد «نجهل» فى كثير من الأحيان أقدار هؤلاء الأشخاص وهم بين ظهرانينا. .

ولا نكاد نكتشف جمال أرواحهم وأنس عشرتهم حتى تكون شمس حياتهم قد آذنت بالمغيب .

ومن خطايا الإنسان فى حق نفسه وحق الحياة على السواء أنه كثيراً ما يجهل أسباب السعادة الحقيقية المتاحة له . . . ويضرب فى الصحراء باحثاً عنها! وأنه قد يحتاج فى بعض الأحيان إلى من «يجبره» على السعادة المتاحة له كما فعل معك أبواك وإخوتك حين ضغطوا عليك بشدة لقبول هذا الزوج المضحى بعد أن رفضته أكثر من مرة .

وقديماً قال المفكر الفرنسى مونتسكيو إنه ليس هناك شخص لا يزوره الحظ السعيد ولو مرة واحدة فى حياته، غير أنه إذا لم يجده على أهبة الاستعداد لاستقباله فإنه يدخل من الباب ويخرج من النافذة، ولقد زارك الحظ السعيد حين تقدم إليك هذا الرجل مرة ثانية ولولا أن ضغط عليك أبواك لقبوله بعد أن طال بك انتظار فارس الأحلام لما عرفت السعادة الحقيقية فى حياتك الزوجية ولولا أن صبر عليك زوجك بطبيعته المضحية الراضية بالقليل من الحياة ومن الآخرين لما أتىح لك أن تكتشفى جمال شخصيته وعمق حبه لك، فتفتح له مسامك ومشاعرك بعد إغلاق، ولما اكتشفت فيه كذلك بعين المحب كل ماخفى عليك من قبل وأنت تنظرين إليه بعين الكاره المتأفف خلال عامى الجفاء فى بداية الزواج .



فإذا كانت السعادة قصيرة فى حياتك كما هو الحال فى بعض الأحيان . . فإن عزاءك عن ذلك هو أنها كانت حقيقية وصادقة . .  
تثرى القلب والوجدان . . ولسوف تكون زاداً معنوياً لك يعينك على الصمود لتجربة الأيام ، ومن مفارقات الحياة المؤلمة أنها قد تكرر فى بعض الأحيان ما شكّا منه المتنبي حين قال :

تفضلت الأيام بالجمع بيننا

فلما حمدنا لم تُدْمنا على الحمد

لكن ماذا نفعل يا سيدتى فيما قضت به المقادير وماذا نملك سوى الامتثال لأقدارنا . . والرضا بها . . والتعزى عن آلام الحياة بذكريات السعادة الحقيقية . . والتمسك بالأمل فى رحمة الله؟ .

إننى أشكرك على رسالتك التى تحذر الفتيات من الاستغراق فى أحلام اليقظة . . والتكبر والغرور ، وأرجو أن يستفيد الجميع بتجربتك فى إهدار بضع سنوات ثمينة من العمر فى التكبر على السعادة و«الجهل» بها . .





ف. م. ب.



أكتب لك قصتي لعلى أجد لديك الحل الملائم لمشكلتي،  
 فأنا سيدة فى الأربعين من عمرى على قدر من الجمال والثقافة  
 وقد تزوجت وأنا صغيرة السن وأنجبت وعشت مع زوجى فى  
 سعادة تامة لمدة عشر سنوات إلى أن رحل عن الحياة فكانت  
 صدمتى فيه كبيرة نظراً لرومانسيتى . . وانتابنى الحزن الشديد  
 واحتضنت أبنائى وأفضت عليهم من حبى وحنانى حتى  
 وصلوا إلى المرحلتين الإعدادية والثانوية، وخلال ذلك رفضت  
 كل من تقدموا لى لأن أبنائى كانوا صغاراً وفى أشد الحاجة  
 إلى . . وقد بدأت مشكلتى التى أكتب لك بشأنها منذ عام  
 تقريباً إذ إن لى زميلة بالعمل أعتبرها أختاً لى وصديقةً لعمرى  
 وزوجها يعمل معنا فى نفس المكان . . ومنذ عام وجدت زوج  
 صديقتى هذه يتقرب إلىّ ويدعونى للكف عن الحزن والتفتح  
 للحياة من جديد بعد مرور تسع سنوات على رحيل زوجى،  
 ويقول لى إننى يجب أن أفكر فى أمرى لأن أبنائى ذكور  
 وسوف يكون لكل منهم حياته الخاصة ويستربكونى فى النهاية  
 وحيدة، وأنا مازلت جميلة وكل من يزانى لا يصدق أننى أم  
 لهؤلاء الأبناء . . كما أننى أحتاج إلى زيجل يقدرنى ويقدر  
 جمالى وثقافتى وتفكيرى!

ووجدت كلامه صحيحاً! أما المفاجأة فهى أنه قد عرض

على الزواج، فسارعت برفض طلبه لأن مبادئى لا تسمح لى بخيانة صديقتى. لكنه لم يئأس.. ولم يكل أو يمل الإلحاح على بطلبه، وأنا أقاوم بكل ما أوتيت من قوة وقدرة على الرفض ورفضى له زيده إصراراً على طلب الزواج منى ويقول إنه مستعد أن يعلن للجميع رغبته هذه.. وأنا أدعو الله فى صلاتى أن يقدرنى على نفسى ويهبنى القوة على الاستمرار فى مواجهة ذلك الزميل.. لأننى أخاف الله وأخشى دعاء المظلوم ولا أريد أن أظلم صديقتى، وأسأل الله أن يقينى شر نفسى.. فماذا تقول لى؟



## ولكاتبه هذه الرسالة أقول

لقد «خنت» صديقتك المقربة بالفعل ياسيدتى بسماحك لزوجها بأن يُطرى جمالك وثقافتك وفكرك وينصحك بالتفتح للحياة من جديد مما شجعه على أن يتقدم إليك بطلب الزواج منك.. فالخيانة درجات ومراتب.. ولقد خطوت خطوة أو خطوتين على طريقها بالاستماع إلى هذا الإغراء من زوج صديقتك التى تعتبرينها أختًا لك وصديقة عمرك.. والسكوت عليه.. والاستنامة له، أما أقصى درجاتها فلم تصلى إليها بعد بقبول الزواج من زوجها والحمد لله.. ولو لم تكونى رافضة للعبث من الأصل لما احتاج هذا الرجل لأن يطلب منك الزواج.. ولكان طريق الإطراء قد قادكما معًا للتورط فيما لا ترضينه لنفسك، والمثل الأمريكى يقول: لا يشتري الرجل بقرة إذا كان يحصل على اللبن مجانًا!، ولأن همسه المسموم لك لم يتح له الحصول على اللبن المأمول بلا ثمن فلقد عرض عليك الزواج.. وزاده رفضك له إلحاحًا عليك لكيلا يشعر بالفشل وخيبة الرجاء.

وكل ذلك مما يتعارض مع حقوق الصداقة والأخوة التى تفرضها

عليك صداقتك لزميلة العمل هذه، والشاعر العربى القديم أبو  
العتاهية يقول:

صديقى من يقاسمنى همومى  
ويرمى بالعدواة من رمانى  
ويحفظنى إذا ما غبت عنه  
وأرجوه لنائبة الزمان

وليس من قبيل حفظ الصديقة فى غيابها أن تسلمى أذنك لزوجها  
لكى يفح فيهما فحيحه المسموم بهدف أن يحقق مأربه منك بغير  
الزواج إذا استطاع . . وبالزواج إن لم يكن منه سبيل .

لقد كان أمير المحدثين أبو سفيان الثورى يقول: أول العلم:  
الصمت ثم الاستماع إليه ثم العمل به!

ولقد أستطيع أن أقول. مستهدياً بهذه العبارة الحكيمة: إن أول  
الغواية الصمت عليها ثم الاستماع إليها . . ثم الاستجابة لها .

فسدى أذنك عن سماع همس هذا الزميل المسموم لك لكىلا  
تضعف مقاومتك فى النهاية . . فإطراء جمال المرأة هو أول طريقة  
على حديدتها الساخن لكى يلين . . وقديماً قال أحد الحكماء متحدثاً  
زملاءه:



أستطيع أن أحوّل هذا الإنسان العاقل إلى مجنون خلال فترة قصيرة.. فقل له: كيف؟ فقال: بمدحه والإلحاح عليه بالمدح حتى يفقد عقله واتزانة!

وليس هناك على أية حال رجل يستطيع الإلحاح على امرأة برغبته فيها عامًا كاملاً لو كان قد ووجه بالرفض القاطع والاستنكار الشديد لهذه الرغبة بما لا يدع له أى أمل فى إضعاف مقاومتها ذات يوم.

فإذا رغبت فى الزواج ياسيدتى فإنك تستطيعين أن تتزوجى بغير أن يقترن زواجك بخيانة أقرب الصديقات لك ولا بتأنيب الضمير لك على خيانتك لها.

أما بقاء الحال على ما هو عليه فلن يؤدى إلا إلى ضعف مقاومتك ذات يوم قريب أو بعيد، فاقطعى الطريق على هذا الرجل بشكل صارم.. وتجنّبي انفرادك بك وحديثه إليك بكل حسم حتى ولو أدى ذلك إلى تباعدك عن هذه الصديقة.. والسلام.





قصه



أنا شابة أبلغ من العمر ١٩ عاماً نشأت فى أسرة مكونة من أم طيبة وأب يعمل بالحكومة وشقيقين وشقيقة. . . وحين كان عمري عاماً واحداً ارتفعت درجة حرارتي بشدة وتوجه بى أبى وأمى إلى المستشفى وأعطانى الأطباء حقنة خاطئة أدت إلى ارتخاء الأعصاب عندى بحيث فقدت القدرة على المشى إلا بمساعدة الغير، ثم هاجر أبى إلى أمريكا بعد ذلك بسنوات لكى يعالجنى فيها وأُجريت لى جراحتان فى غاية الخطورة نجوت منهما والحمد لله، وعشت حياتى بعد ذلك بطريقة شبه طبيعية، وواصلت تعليمى حتى التحقت بالجامعة فى أمريكا، ومنذ أربعة شهور تقدم شاب مصرى مقيم بالولايات المتحدة لخطبتى. . . ولم يرحب به أبى. . . غير أن أمى وأنا ضغطنا عليه حتى قبل به. وتمت الخطبة. . . ولم أكن سعيدة بها وشعرت شعوراً غامضاً بأن خطيبى هذا ليس هو الإنسان الذى أستطيع الحياة معه تحت سقف واحد، لكنى كذبت مشاعرى التى تصدقنى الحس دائماً، وبعد شهرين من الخطبة حصل خطيبى على وظيفة ممتازة بمرتب جيد بعد أن كان يعمل عملاً صغيراً فى جراج للسيارات، وبعد ذلك بقليل جاءنى ليقول لى إن أهله يعيرونه بى لأننى معوقة، ثم تم فسخ الخطبة، وبالرغم من أننى لم أكن أشعر بالارتياح لهذا الشاب من البداية إلا

أننى قد صدمت صدمة شديدة فى تصرفه معى . . وشعرت بالإهانة  
والجرح الشديد لمشاعرى . . ولا أستطيع نسيان ذلك حتى الآن . .  
إننى إنسانة متدينة جداً والحمد لله . . وراضية بأقدارى، لكن جرح  
المشاعر شئ مؤلم، فلماذا يجرح البعض مشاعر الآخرين بهذه  
القسوة ياسيدى؟



## ولكاتبه هذه الرسالة أقول

فى أقصوصة شهيرة للأديب الفرنسى أناتول فرانس كلف الملك الشاب علماء بلده أن يكتبوا له تاريخ البشرية لكى يطلع عليه، فاعتكفوا لمدة سنوات ثم رجعوا إليه ومعهم أحمال ضخمة من المجلدات. . واستهول الملك الشاب أن يقرأ كل هذه الكتب فطلب منهم اختصارها فعكفوا عليها سنوات أخرى ورجعوا إليه ببضعة مجلدات كبيرة. لكنه لم يجد الوقت الكافى أيضاً لقراءتها وطلب منهم من جديد إعادة اختصارها. . فتقدم منه أحد العلماء قائلاً له: سألخص لك تاريخ البشرية فى كلمات قليلة:

يولد الناس. . ويتألمون. . ويموتون!

ثم حمل مجلداته الضخمة وانسحب مع زملائه من مجلس الملك، وبعد سنوات أخرى جاء الكاتب الأمريكى الساخر مارك توين فأجرى تعديله الخاص على هذه العبارة الموجزة وقال:

يولد الناس ثم يجبرون بعضهم البعض على الألم. . ثم يموتون!

ولقد تذكرت عبارة مارك توين المريعة هذه. . وأنا أقرأ رسالتك لأن معظم آلام الإنسان هى من صنع البشر بالفعل. . وهذا الشاب

الذى جرح مشاعرك كان يستطيع أن يتنصل من ارتباطه بك بأية حجة أخرى لا تؤلم مشاعرك.. ولا تترك هذا الأثر الغائر فى نفسك، لكن ماذا نستطيع أن نقول عن ولع بعض البشر بإيلام غيرهم!

إننى أدعوك أيتها الفتاة الشابة إلى عدم التوقف أمام هذا الحدث العارض فى حياتك والتجاوز عنه.. والثقة فى نفسك وفى جدارتك بأن تكونى ذات يوم قريب زوجة يسعد بها من يرتبط بها.. فأنت مازلت فى مستقبل العمر، ولسوف تحمل إليك أمواج الحياة كل خير وسعادة وأمان فى المستقبل القريب بإذن الله.



أكتب لك رسالتى هذه بعد تفكير عميق. فأنا رجل فى الثانية والأربعين من عمري جئت من قرىتى الواقعة فى أعماق الجنوب بعد إنهائى الخدمة العسكرية لأبحث عن مستقبل فى القاهرة، وزودنى أبى المزارع البسيط برسالة توصية شفوية لابن عم له يقيم بالعاصمة ويملك مقهى صغيراً فى أحد الأحياء، وكان معى حين جئت إلى القاهرة ٣٣ جنيهاً لا غير هى كل ما استطاع أبى الطيب أن يوفرها لى وركبت القطار مودعاً بدعواته ودعوات أمى لى بالتوفيق فى حياتى الجديدة.. وتوجهت إلى مقهى ابن عم أبى أو عمى كما سوف أناديه وعرفته بنفسى فرحب بى فى فتور وبدا واضحاً من البداية أننى أمثل له همماً ثقيلاً أضيف إلى همومه.. لكن ماذا يملك الشاب المنقطع عن أهله سوى أن يتلع مشاعره ويصبر على ما لا يسره؟. وبعد أيام قليلة استضافنى خلالها عمى فى بيته وبدأت العمل معه إلى أن أنجح فى الحصول على وظيفة، ولفت هو نظرى إلى أننى سوف أبيت فى المقهى إلى أن تتحسن أحوالى ويصبح فى مقدورى استئجار غرفة لإقامتى المستقلة. وأقرضنى بطانية قديمة أصبحت هى فراشى وغطائى ومتاعى الوحيد فى هذه المدينة القاسية. وبدأت عملى كمساعد جارسون بالمقهى، أقضى يومى كله وجزءاً كبيراً من الليل ألبى طلبات الزبائن.. وأشتري لبيت عمى ما

يحتاج إليه، وأنهى يومى الشاق بمسح المقهى، ثم أفرش البطانية وألقى بجسمى المتعب عليها فأروح فى نوم عميق ٤ أو ٥ ساعات على الأكثر ثم يفتح المقهى أبوابه من جديد ويبدأ يوم العمل التالى.. واستمر الحال على هذا النحو عامين تحملت فيهما الكثير والكثير من مناكفات الزبائن وعصية عمى الذى لم يكن يتورع أحياناً عن صفعى أمام الزبائن لخطأ ارتكبته عن قلة خبرة.. أو عن جهل.. ولقد بكيت فى أول مرة صفعنى فيها عمى.. ليس لألم الضرب وحده ولكن لما شعرت به من هوان «وانكسار» وفكرت جدياً فى أن أترك كل شىء وأركب القطار عائداً إلى بلدتى وأبى وأمى وإخوتى لآكل الخبز الجاف معهم بدلاً من هذا الذل.. لكنى جيت للأسف عن تنفيذ ذلك.. وكان أكثر ما أضعف عزيمتى هو مقدار الألم الذى سيشعر به أبى إذا عرف بمعاناتى وهو الرجل المصلّى الصوام الذى يدعو ربه كل حين بالستر لنفسه وأبنائه.. وهكذا تحملت ظروفى وصبرت على الأذى، وكان أحد الأسباب التى ساعدتنى على الاحتمال هو زوجة عمى الطيبة التى تعطف على وابنتها الكبرى التى كانت فى بداية الشباب وتتعامل معى باحترام وتهذيب.. وبعد عامين من هذا الشقاء نقص خلالهما وزنى بضعة كيلو جرامات بسبب كثرة المجهود وقلة النوم.. وجدت لنفسى غرفة على سطح بيت قديم بجوار بيت عمى، واشترت سريراً حديدياً قديماً ومرتبة ومخدة ومائدة صغيرة ومقعداً وبعض



أدوات المطبخ القليلة.. وأصبح لى مسكن مستقل فى القاهرة  
الصاخبة.. وبدأت كذلك أكتشف أن عمى لا يعطينى الأجر المناسب  
لمجهودى الكبير.. كما بدأت أعرف أنه من حقى أن أنام ٨ ساعات  
كل يوم.. ثم أرشدنى أحد رواد المقهى للتقدم لمسابقة للعمل  
بأحد البنوك وساعدنى فى استرجاع مواد المدرسة التجارية التى  
درست بها فكانت المعجزة هى أننى قد اجتزت الامتحان بنجاح  
وعُينت فى هذا البنك.

وبالفعل لم يسعد عمى بعملى الجديد لأنه سيحرمه من نصف  
مجهودى معه، لكننى لم آبه لذلك واستمررت فى العمل بالمقهى  
فى الفترة المسائية.. وحين قبضت أول مرتب لى جلست إلى  
المائدة الصغيرة فى غرفتى وكتبت لأبى خطابًا قلت له فيه إن  
دعواته الصالحة ودعوات أمى قد أتت ثمارها.. وإننى  
أصبحت موظفًا محترمًا بأحد البنوك الكبرى ولى مرتب إلى  
جانب عملى الخارجى.. ثم أرفقت مع الخطاب حوالة بريدية  
بمبلغ ١٥ جنيهًا.

وبعد عدة أسابيع عدت إلى بلدتى فى الجنوب فى أول زيارة  
لأهلى بعد عامين وبضعة شهور وهطلت دموعى وأبى يحتضننى  
بعنف وأمى تزغرد فى وجهى ودموعها تسيل وإخوتى مبتهجون  
وسعداء بالهدايا البسيطة التى حملتها لهم.. ثم جاء الأهل والأقارب

والجيران يرحبون ويهنتون بالعودة والنجاح والتوفيق فى العمل . .  
ورجعت إلى القاهرة وأنا أكثر عزمًا وإصرارًا على أن أبذل كل ما  
أملك من جهد لتحسين حالى ومساعدة أبى . . وكنت خلال وجودى  
معه قد صارحته بحبى لابنة عمى ورغبتى فى الارتباط بها فشجعنى  
على ذلك مؤكدًا لى أن والدها سوف يتشرف بمصاهرة موظف محترم  
وشاب مستقيم وناجح مثلى . . وأنه على استعداد للحضور للقاهرة  
ليخطبها لى . . لكنى اتفقت معه على أن أجس نبض عمى أولاً فإذا  
وجدت ترحيبًا كتبت لأبى ليحضر للقاهرة، وفاتحت عمى برغبتى  
ففوجئت به يرفض بخشونة الموافقة على طلبى . . ويذكرنى بقلة  
إمكاناتى وكثرة أعباء أبى إلخ . . وصدمت صدمة أخرى شديدة  
وامتنعت منذ ذلك اليوم عن العمل بالمقهى فى المساء . . وعلمت من  
عامل المقهى أن زوجة عمى قد عاتبت زوجها على رفضه لى لأنى  
شاب طيب ومن لحمه ودمه وسوف أصون ابنتها أكثر من غيرى . .  
فلم يغير رأيه .

وتفرغت لوظيفتى . . ثم بدأت بمساعدة الموظف الذى أعانى على  
العمل بالبنك فى ممارسة تجارة العملة وكانت وقتها مازالت محظورة  
رسميًا ولست أخجل الآن من الاعتراف بذلك لأنها كانت تجارة مثل  
أى تجارة . . وقد تغيرت القوانين بعد ذلك وسمحت بها . . وخلال  
ثلاث أو أربع سنوات كانت أحوالى المادية قد تحسنت كثيرًا وانتقلت



من غرفة السطح إلى شقة معقولة بالبيت نفسه وتحسن مظهرى الخارجى . . وانتظمت فى إرسالى الحوالات البريدية لأبى وفى زيارة أهلى كل سنة .

كما لم أنقطع عن زيارة عمى فى المقهى من حين لآخر . . وزيارة زوجته وأولادهما ، وفى إحدى زيارتى هذه فاجئنى بأن طلب منى تهنئة ابنة عمى على خطبتها لتاجر ميسور الحال من معارفه . . فهنأتها وفى قلبى غصة لا يشعر بها أحد .

وانفجر بركان الغضب فى داخلى ليس من عمى ولكن من الظروف القاسية التى تحرم الإنسان من تحقيق آماله فى الحياة . . وتحول هذا البركان إلى طاقة هائلة على العمل لتحسين أحوالى وإشعار عمى بأن الصغير قد يكبر وأنه قد خسر صهرًا وزوجًا لابنته كان يمكن أن يتشرف به لو كان قد صبر قليلاً عليه . .

وازداد نشاطى فى تجارة العملة كما تاجرت فى السلع المعمرة . . اشتريها من تاجر تعرفت عليه وأبيعها لموظفى البنك والبنوك المجاورة ولزبائن المقهى بالتقسيط المريح وبهامش ربح رحيم . وفى أول الشهر أطوف على المشترين لتحصيل الأقساط . . ثم توسع نشاطى أكثر فشاركت هذا التاجر نفسه فى تجارته بعد أن أقرضته مبلغًا كان فى حاجة إليه . .

وبعد أربعة أعوام أخرى رغب هذا التاجر فى التقاعد بعد أن بلغ السبعين وليس له ولد يواصل تجارته من بعده لأن كل ذريته من البنات المتزوجات، فدفعت له الثمن الذى قدره بالتقسيط وأصبح معرض الأدوات المنزلية ملكًا خالصًا لى.. وحافظت على وظيفتى بالبنك إلى أن انتهيت من دفع الأقساط، ثم استقلت وتفرغت لتجارتى وكان قرارًا جريئًا منى لكنى أقدمت عليه معتمدًا على ربى ثم ثقى فى نفسى.. وأنهى أخى الأصغر دراسته المتوسطة ورغب فى المجيء للقاهرة فاستدعيته وكلفته بالعمل معى، وتركت له شقتى القديمة الصغيرة وانتقلت إلى شقة أفضل وازداد حجم تجارتى بعد عمل أخى معى.. وازدادت أرباحى فاشتريت بعد ثلاثة أعوام محلاً آخر قريباً من محلى وكتبت لشقيقى ٢٥٪ من ملكية تجارته مقابل أن يديره ويحافظ عليه.. وجاءنى دعاء أمى وأبى لى بالستر والصحة عبر التليفون شكرًا لى على ذلك..

ورأيت أن العمر يجرى بى فتزوجت من كريمة تاجر من معارفى واستقرت حياتى.. وساعدت أبى فى زواج الشقيقتين.. وشعرت بالرضا عن نفسى لذلك.. وجاءنى شقيقى ذات يوم ليقول لى فى خجل إنه معجب بفتاة تعمل فى محل تجارى نتعامل معه ويفكر فى خطبتها لكنه يخشى ألا أوافق على ذلك لأنها من أسرة بسيطة.. فقلت له على الفور: وهل كانت هناك أسرة أكثر بساطة من أسرتنا؟



اخطبها على بركة الله وأنا معك قلباً وقالباً فالسعادة لا تتحقق بالمال وحده! فلم أدر إلا وهو ينحنى على يدي ليقبلها قبل أن أسحبها مستغفراً ربي . . ومُقبلاً شقيقى فى جبهته .

وفوجئت بعد خطبته بأيام بعمى يزورنى فى محلى غاضباً ومعاتباً ومتهماً إياى بالجحود وإنكار فضله علىّ، لأننى لم أوجه شقيقى لخطبة ابنته الثانية بدلاً من تلك الفتاة الغريبة التى لا تليق أسرتها بتاجر كبير مثلى!

وقلت له فى هدوء إننى لا أستطيع إرغام شقيقى على شىء لم يردده من تلقاء نفسه . . وأن زواج الغرباء لا شىء فيه مادام يحبها وتحبه، ومنعنى أدبى من أن أذكره بأنه قد سبق له أن رفض يدي الممدودة إليه وفضل علىّ هؤلاء «الغرباء» بسبب فقرى وقلة حيلتى حينذاك .

وتزوج شقيقى وكانت الأيام السابقة لزفافه من أسعد أيام عمرى فقد اجتمع فيها أبى وأمى وشقيقتاى وزوجاهما وأبناؤهما . . ونزل الجميع ضيوفاً علىّ . . وكعادتنا فى بلدتنا أحيينا الليلة السابقة للزفاف فى مسكنى نغنى ونطبل احتفالاً بالعريس بين زغاريد أمى والشقيقتين وزوجتى وابتهاج أبى وافتخاره بى . . فلم أشعر بنفسى إلا وأنا أمسك بالعصا وأدعو شقيقى للتحطيب معى كما كنا نفعل ونحن طفلان صغيران ونروح ندور حول بعضنا البعض وهو ممسك بعصاه

وأنا بعصاي وسط فرحة الأهل بنا ثم ننهي التحطيب بالعناق الحار .

وفى اليوم التالى زُف لعروسه وسعد بحياته وشاركنى الجميع الفرحة، ما عدا عمى الذى لم يحضر الزفاف ومنع أسرته من المشاركة .

أما أبى وأمى فلقد «اعتقلتهما» فى بيتى شهراً كاملاً بعد الزفاف فى حين رجعت الشقيقتان إلى بلدتنا . . ولم أسمح لأبى وأمى بالعودة إلا بعد أن ألحا علىّ كثيراً برغبتهما فى ذلك، وصحبتهما إلى القطار وقطعت لهما تذكرتين بالدرجة الأولى المكيفة وقلت لأبى إنه قد عمل كثيراً وشقى طويلاً وإننى أريد منه ألا يعمل بعد الآن فى حقله الصغير أو فى حقول الغير، وإنما يؤجر بضعة القراريط التى يملكها لأحد الأهل البسطاء ويستمتع هو بالراحة والجلوس أمام البيت وشرب الشاي والتسامر مع أصدقائه ومحبيه . . فى الصباح . . وفى الأصيل . . بعد أن أكرمنى ربى وأغنائه هو عن أن يواصل العمل وهو فى شيخوخته .

وركب أبى وأمى القطار وهما يدعوان لى بالستر فى الدنيا وفى الآخرة .

ولقد أطلت عليك كثيراً وأشعر الآن بأننى يجب أن أنهى خطابى هذا بالوصول إلى المشكلة التى دفعتنى للكتابة لك . .



فالمشكلة هى أن ابنة عمى التى أحببتها فى بداية كفاحى بالقاهرة  
والتى حرمنى منها والدها - سامحه الله - قد ترملت منذ عامين بعد  
أن مرض زوجها - يرحمه الله - قبل وفاته بعدة سنوات بمرض خطير  
استنزف معظم ماله . . ثم رحل عن الحياة تاركًا لها ثلاثة أبناء . .  
وغرقت هى فى مشكلات عديدة مع إخوته حول ما تبقى من  
ميراث . . وتدخلت أنا لديهم لمساعدتها على الحصول على حقها فلم  
تحصل إلا على أقل القليل . .

ومنذ وفاة زوجها . . وعمى يُكثر من زيارته لى . . واسترجاع  
ذكريات بدايتى معه كأنما يقول لى إنه لولا أن ساعدنى وأتاح لى  
فرصة العمل معه، لما وصلت لما وصلت إليه الآن .

ثم فاتحنى بعد ذلك صراحةً فى أن من «واجبى» أن أستر ابنته  
وأترزوها على زوجتى لكى أرعى أبناءها وأحميهم من غوائل الدهر  
لأن العمر قد تقدم به ويريد أن يطمئن على ابنته قبل مجيء الأجل  
المحتوم وإذا لم «أستر» أنا ابنته وأحمها فمن ذا إذن الذى يسترها  
ويحميها وهى من لحمى ودمى . . ولوالدها حق على؟!!

ولست أنكر عليك أننى شعرت فى بداية حديثه معى بشيء من  
الاضطراب، لكنى سرعان ما تماكنت نفسى وأدركت أننى مقبل على  
طريق صعب قد يؤثر على حياتى وتجارتى وعملى، فأنا مستقر فى  
حياتى الزوجية . . ولى من زوجتى طفلان . . وهى سيدة فاضلة

وطيبة وأم حنون على أبنائها. . وتحب أهلى وتحترمهم ولم تشعرنى ذات يوم ببساطة أسرتى بالمقارنة بأسرتها. . ولقد رضيت بحياتى معها وإن كانت مشاعرى تجاهها مختلفة عن مشاعر الحب العنيف الذى شعرت به تجاه ابنة عمى فى شبابى. . فهى مشاعر هادئة لا لوعة فيها ولا وجد. . لكنها وفرت لى الاستقرار والأمان. . وأطلقت قدراتى على العمل حتى حققت أكثر مما كنت أتمناه لنفسى من نجاح مادى. . وتأمين للمستقبل وحياة كريمة لأسرتى ولأهلى. . وبفضل حكمتها اشترت شقة جميلة. . وأصبح لنا شاليه فى الساحل الشمالى وسيارة فاخرة. . ورصيد محترم. . لكن عمى من ناحية أخرى يلح على برغبته ويكثر من دعوتى للغداء فى بيته وتشارك زوجته الضغط علىّ، وابنة عمى تبدى تجاهى اهتماماً شديداً. . وحنواً زائداً. . ويدور الكلام خلال جلساتنا حول حق الرجل فى الزواج من اثنتين وثلاث وأربع بدون أن يعنى ذلك أى ظلم للزوجة الأولى. . إلخ!

وبعصبية المألوفة يكاد عمى يفقد صبره علىّ فى أحيان كثيرة و«يتشاجر» معى لترددى فى تلبية مطلبه باعتبار ذلك «دينًا له» علىّ ويجب سداذه وإلا كنت جاحداً وناكراً للجميل! خاصة أن أحواله المادية الآن سيئة وأحوال ابنته كذلك.

ولقد لاحظت أننى قد تأثرت فى الفترة الأخيرة بهذا الضغط



واضطربت أحوالى بعض الشيء ومازلت غير قادر على مواجهة  
عمى بالرفض القاطع أو القبول الصريح . . علماً بأن زوجتى لن تقبل  
بزواجى بابتة عمى بأى حال من الأحوال . . وسوف تتمسك  
بالانفصال إذا أقدمت عليه! وإننى أرغب فى مساعدة عمى بالفعل  
لكنه لا يخفى عنى فى الوقت نفسه ما فى إلحاحه علىّ بالزواج من  
ابنته من «طمع» فى . . وضغط علىّ باتهامى بالجحود وإشعارى بأننى  
لست «أصيلاً» مثله وهو الذى احتضنتى وأخذ ييدى حين جئت  
للقاهرة . . فماذا تقول لى؟

قل فى وصف الصحابة الأكرمين - رضوان الله عليهم - أنهم كانوا «يكثرون عند الفزع.. ويقلون عند الطمع» بمعنى أنهم كانوا يظهرون عند الشدة.. ويختفون عند توزيع الغنائم! فإذا كان عمك يتحدث عن «الأصالة» فهذا هو أحد أهم معاييرها.. أما أن يرفضك بخشونة وأنت شاب مكافح ويفضل عليك من هو أقدر منك مادياً على توفير الحياة اللائقة لابنته مذكراً أو «معيراً» إياك وهو الأصح بفقرك وقلة إمكانياتك وسوء أحوال أبيك المادية وكثرة أعبائه، فإذا شقت طريقك فى الحياة وعبرت أمواجها المتلاطمة بنجاح إلى شاطئ الأمان المادى.. جاءك معاتباً إياك لانصراف شقيقك عن التفكير فى خطبة ابنته الصغرى ومغرياً لك فى مرة ثانية بالزواج من ابنته الأرملة زاعماً لك أن نكوصك عن ذلك أو ترديدك إزاءه يُعد نقصاً فى أصالتك أو نخوتك أو وفائك له، فليس ذلك من المنطق أو العدل فى شىء كثير أو قليل.. ولا تفسير لابتزازه النفسى لك بتهمة الجحود سوى أنه يستخدم كل ما هو متاح له من أسلحة عاطفية لإحراجك وتحقيق ما قد أصبح يرى فيه الآن أنه فى مصلحة ابنته الأرملة ومصلحته، بغض النظر عن عدالة ذلك أو منطقيته.. إذ



كيف يكون «رد الجميل» الذى يتوهمه هو بأن تعرض حياتك العائلية المستقرة للاضطراب . . وأطفالك الصغار للتمزق بين أبويهم؟

إن هناك وسائل عديدة لرد الجميل . . إذا كان ثمة «جميل» لكنه ليس من بينها بكل تأكيد أن تضحى باستقرار حياتك العائلية وربما العملية كذلك لكى تثبت لعمك أنك مازلت على عهد الوفاء مقيم . . أو أنك مازلت الشاب الأصيل الذى كنته .

فالحق أنك كذلك بغير حاجة لإيلاام زوجتك . . وتعريضها وأبنائك للمعاناة، كما أنك لست فى حاجة لإثبات أصالتك هذه لأحد خاصة هذا العم الذى لم يكن هو نفسه على قدر الرجاء فيه حين جئت إلى القاهرة شاباً حائراً غريباً لا عون لك ولا سند سواه .

ويكفى تماماً لإثبات أصالتك أنك كنت ومازلت نعم الابن البار بأبويه وإخوته كما كنت ومازلت أيضاً نعم القريب الذى لم ينقطع عن عمه بالرغم مما لاقاه منه .

فإذا كان عمك يعتبر نفسه مساهماً فيما حققته من نجاح مآدى فى الحياة العملية، فإن أهم أسباب نجاحك العملى وتوفيقك فى الحياة إلى جانب إرادتك القوية وصبرك على المكآره وكفاحك المرير - فى تقديرى - هو برك بأهلك وإعانتك لأبيك وإخوتك على أمرهم وعدم تنكرك إنسانياً لهذا العم بالرغم من كل شىء، فأى دور إذن لعمك هذا فيما حققت من نجاح؟ وأى دين له عليك يستوجب سداذه أن

تفقد زوجتك وتمزق أطفالك وتحرمهم من النشأة الآمنة بين أبويهما؟  
إن عمك يستغل فيك يا صديقي أصالتك وحرصك على الوشائج  
العائلية وعليه بالرغم مما لقيت منه من عنت بلغ في بعض الأحيان  
حد صفعك على الملأ وعدم الترفق بك في ضعفك وقلة حيلتك .

ولقد أخطأ تقدير قدراتك ومميزاتك في البداية ويريد الآن أن  
يعوّض بعض ما أضاعه على ابنته بسوء التقدير وخطأ الحسابات . .  
ولقد قلت من قبل إنه ليس من حق من لم يشارك في بذر البذور  
ورعاية النبتة الصغيرة أن يأتي في موسم الحصاد ليطالب بنصيبه من  
ثمارها فإذا كانت أحوال ابنته المادية ليست على ما يرام الآن فإنك  
تستطيع إعانتها على أمرها ببعض زكاة مالك كما تستطيع أيضاً إعانة  
أبيها إذا شاء ذلك بإقراضه ما يقيه من عشرته . . أو حتى بتوجيه  
بعض زكاتك له إذا كان مستحقاً لذلك والأقربون أولى بالمعروف  
دائماً من غيرهم ، لكنه ليس من العدل والحكمة أن تكون إعانتك لها  
بالزواج منها وتعرض حياتك العائلية والعملية للخطر  
والاضطراب . . ولقد قلت في رسالتك إن مشاعرك تجاه زوجتك  
تختلف عن مشاعرك السابقة تجاه ابنة عمك حين رغبت في الارتباط  
بها وإن مشاعرك تجاهها «هادئة» وليست ملتهبة كما كانت مشاعرك  
تجاه الأخرى في بداية الشباب . . ولقد فات عليك إدراك قيمة هذه  
المشاعر الهادئة نفسها ومدى عمقها وتغلغلها في النفس والوجدان . .



فالمشاعر الهادئة هذه ليست سطحية ولا ضعيفة الأثر فى نفس من يحملها. . وإنما هى تيار متصل يتسم بالاستمرارية والثبات على خلاف المشاعر الفوّارة التى قد ترتفع إلى الذرى العالية فى بعض المراحل ثم تخمد وتهبط إلى سطح الفتور بعد حين. . وأكثر قصص الزواج نجاحًا وتوفيقًا واستمرارًا إنما اعتمدت على مثل هذا التيار الهادئ المتصل من المشاعر، أكثر مما اعتمدت على الفوران العاطفى المتأرجح دومًا بين الحدة والخمود.

إنها مشاعر ينطبق عليها المثل الإنجليزى القائل: «بيطء. . ولكن بثقة!» وهى أحد أسباب تفرغك الذهنى للعمل والابتكار والنجاح المادى، فلا تستهن بهذه المشاعر أو بعمق تأصلها فى أعماقك، فلسوف تكتشف بعد فوات الأوان أنها الأكثر دوامًا واستمرارًا من تلك المشاعر الملتهبة التى تفور فورانها وتخمد بعد حين، واحرص على زوجتك وأطفالك وحياتك العائلية المحترمة والمستقرة، واعتذر لعمك بحسم عن عدم قدرتك على تلبية مطلبه بالزواج من ابنته راجيًا لها السعادة والتوفيق مع من تلائمها ظروفه. . ولا يجرى ارتباطه بها وإنقاذه لها من مشكلتها على حساب أسرته واستقرار حياته. . وشكرًا لك على ما فى رسالتك القيمة هذه من جوانب إيجابية وإنسانية تُعلّى من قيم الكفاح والإرادة والبر بالأبوين والأهل.







أنا سيدة فى العقد الثالث من عمرى، متزوجة منذ عدة سنوات من شاب طيب متدين من أسرة طيبة، ولست أكتب لك اليوم لأشكو من مشكلة أعانى منها الآن وإنما لأحدثك عن مشكلة كنت أعانى منها فى الماضى، وأرجو أن تفيد رسالتى هذه غيرى ممن يقرأونها حتى لا يقعوا فيما وقعت فيه من أخطاء جسيمة. فلقد نشأت فى أسرة صغيرة متوسطة الدخل مكونة من الأب والأم وبنات أنا أكبرهن. وإنى أعترف بأن أمى قد كافحت كثيراً إلى جوار أبى لكى نحصل على أفضل تعليم وأحسن مستوى معيشة ممكن. أما المشكلة التى كنت أعانى منها فكانت فى الأسلوب الذى اتبعته أمنا فى تربيتهما نحن البنات. فقد اتسم دائماً بالصرامة والحدة والأوامر القاطعة، وأظن أن ذلك كان لأنها لم يكن لديها متسع من الوقت لتدليلنا أو لسماع رأينا فى أى موضوع، حتى ولو كان يخصنا. إذ كانت تعتبر أى محاولة منا للمناقشة مجرد ثرثرة لا جدوى منها، لأننا فى النهاية سننفذ أمرها فلا داعى إذن «لوجع الدماغ» وقد كنت أحس دائماً بالكبت والرغبة فى التمرد على هذا الوضع مع شعورى الشديد بضعف شخصيتى وهوانى، فكنت ألتجأ فى سن مبكرة جداً لكتابة خواطرى المليئة بالغل والكراهية لهذه «السيدة» التى تظن أنها سلبتني إرادتى

ولا تقيم أى وزن لمشاعرى واحتياجى للعطف والحنان. فما أن بدأت  
أخطو سنوات المراهقة الأولى حتى ازدادت رغبتى فى أن أثبت لنفسى  
أننى قادرة على الخروج من أسر سيطرتها المحكمة هذه وعلى إشباع  
احتياجاتى العاطفية. وما أن التقيت بأول شاب حتى بدأت أخرج  
معه وأستمع بكلامه لى وأشعر معه أننى إنسان له كيان وأنى أحظى  
بحب واهتمام شخص ما، ولم يكن هذا الشاب بالطبع يحببنى ولم  
يتعد هو أيضاً الشعور بالاستمتاع بالخروج مع فتاة متعطشة للعواطف  
والحنان، وقد ملئى وتركنى بعد فترة أو تركته أنا، لا أذكر، ثم  
تكررت علاقاتى بعد ذلك بنفس الطريقة، وكنت أتلذذ بالشعور بأن  
أمى لا تدرى شيئاً عن هذه العلاقات، وما أن اقتربت من سن  
العشرين حتى بدأت أشعر بالذنب وأحاول أن أستميلها إلىّ لأستدر  
عطفها وحنانها، وأن أشعرها أنى قد كبرت وأنى من الممكن أن  
تكون لى رغبات وحياة أخرى لا تعلمها. إلا أننى لم أجد سوى  
السخرية منى.. ومازلت أذكر حتى الآن ردها علىّ بأن تصرفاتى  
ليست نابعة من إرادتى وإنما من تربيته لى التى كونت شخصيتى  
وأنى لا أملك سوى أن أكون ماأرادتنى هى أن أكونه. مما أثار تمردى  
مرة أخرى وبصورة أشد فتورطت فى علاقات مع زملائى فى الجامعة  
وساعدنى على ذلك أننى أتمتع بقدر كبير من الجمال. ولولا أن الله  
قد أراد لى الهداية فيما بعد لكنت قد فقدت أعز ماتملك الفتاة



واستسلمت للضياح. لكن ضميرى استيقظ فى النهاية والحمد لله  
وبدأت أشعر أنى أمتهن نفسى وأنتقم منها وليس من أمى، فبدأ  
فكرى يتجه اتجاهاً دينياً وأدركت أن الزواج هو الذى سينقذنى من  
هذا السقوط فوافقت على أول رجل تقدم لى وتوسمت فيه أنه  
شخص نبيل، وعلى خلق ودين، وتزوجته وعاهدت الله أن أحافظ  
على زوجى وأحرص عليه وأن أبعد عن كل ما يمكن أن يؤذيه أو  
يؤذى مشاعره، وكان فضل الله علىّ كبيراً إذ أحببت زوجى حباً  
شديداً وحظيت بحبه وحنانه، مما عوضنى عن سنوات الحرمان التى  
قضيتها فى بيت أبى.

وانى أكتب لك هذه الرسالة لأنى أعلم أن أمى ليست نموذجاً  
منفرداً فى مجتمعنا وإنما هناك أمهات لم يتعلمن كيف يبذلن من  
وقتهن ومشاعرهن وعطفهن لأبنائهن ما يبذلن مثله فى العمل داخل  
المنزل وخارجه، وأرجو من كل فتاة أن تحافظ على سلوكها وألا  
تجعل أى سبب يدفعها للقيام بأى تصرف قد تندم عليه فيما بعد  
أشد الندم لأن كل تصرف تقوم به دون علم أهلها يعتبر خيانة  
للأمانة سيحاسبها الله عليه. كما أكتب لك هذه الرسالة لأنى  
بدأت ألاحظ على أختى الصغيرة نفس المشاعر التى كنت أشعر بها  
وأنا فى مثل سنها، وأمى بالطبع مازالت تتعامل معها بنفس  
الأسلوب القديم. والأمر الذى يثير الأسى والسخرية فى نفس

الوقت هو أن أُمى تذكر دائماً لكل من يشكو لها من صعوبة تربية الأولاد، أننا لم نكن أبداً مصدر تعب أو قلق لها على مدى فترة تربيتنا! فربما تكون رسالتى هذه جرس تنبيه لأُمى التى لا أستطيع مواجهتها بالحقيقة حتى الآن ليس لأنى أخاف منها حيث لم يعد لها سلطان علىّ بالطبع، ولكن لأنى أخاف أن أصدّمها بما قد لا تتحمله من حقائق قاسية فالحق أنى مازلت على ثقة بالرغم من جفائها معى من أنها لم تكن تقصد أى إساءة لى أو لأخواتى ولهذا فهى لا تستحق منى أن أؤذى مشاعرها.



## ولكاتبه هذه الرسالة أقول

رسالتك ياسيدتى تكشف لنا عن حقائق مفزعة عما يمكن أن تؤدي إليه العلاقة غير السوية بين الأم وابنتها إذا افتقدت الدفء العاطفى والصداقة الراشدة والمساحة الطبيعية للتفاهم والحوار بينهما.

وبالرغم من ذلك فإنى لم أشعر بالارتياح لتبرير إقدامك على خوض تجربة العبث والاندفاع خلال فترة معينة من حياتك، بأنك إنما قد فعلت ذلك كرد فعل «طبيعى» لجفاء العلاقة بينك وبين والدتك، أو بزعم الانتقام المعنوى من تسلطها عليك.. أو بحجة إشباع رغبتك فى الإحساس بالجدارة واجتذاب اهتمام الآخرين وحبهم. فكل هذه المبررات وبالرغم من واقعية بعضها لا تبرر أبداً الاقتراب من دائرة الخطر والتحرر من القيود الأخلاقية، حتى ولو ساعدتنا على فهم بعض الدوافع، فإذا كان أسلوب والدتك فى التربية الجافة القائمة على السيطرة الكاملة على حياة الأبناء وقهر إرادتهم وإملاء الرغبات عليهم دون إقناع ولا حوار، أسلوباً خاطئاً وهو كذلك بكل تأكيد، فإن الاحتجاج عليه لا يكون بالعبث والاندفاع إلى

الطريق الخاطئ، لأن الخطأ لا يبرر الخطأ.. ولأنه شتان بين خطأ أم اعتمدت أسلوباً جافاً في التربية يعتمد على القهر ويفتقد إلى دفء الصداقة بينها وبين بناتها، وبين خطأ ابنة «انتقمت» منها في نفسها حتى أوشكت أن تمضي في طريق الغواية حتى نهايته المظلمة لولا أن رحمها ربها واستيقظ ضميرها وهي على شفا حفرة من الضياع.

فأسلوب والدتك في النهاية وبالرغم من إدانتى له واختلافى معه هو اجتهاد خاطئ في التربية قد يشفع لها فيه، أو يخفف من بعض وزره، حسن النية وسلامة المقصد بدليل أنك أنت نفسك قد أدركت ذلك بعد فوات الأوان وأشفقت عليها من إيلام مشاعرها.. أما احتجاجك على هذا الأسلوب بما فعلت بنفسك خلال فترة جاهليتك الأولى.. فلا شفاعة فيه ولا أعذار اللهم إلا صغر السن وقلة الخبرة وسوء الفهم.. وضعف الوازع الدينى وبعض هذه الأعذار أقبح من الذنب نفسه كضعف القيم الدينية.. وسوء فهم مقصد الأم من أسلوبها الخاطئ في التربية.

لكن لأنه لا يلام المرء على أمر قد رجع عنه وندم عليه فلن أطيل الحديث كثيراً في هذه الناحية.. وإنما سأقول لك فقط إنك وقد خضت تجربة الخطأ ودفعت ثمنها غالياً من وخز الضمير، مطالبة الآن بحماية شقيقتك الصغرى من ملامسة مياه هذه البحيرة السامة،



قبل أن تخوض فيها وتجرفها تياراتها، ومن حقها عليك الآن أن تجنبها نفس المحنة ونفس الضياع وأن ترشديها إلى مافيه صلاح أمرها. . والأفضل هو أن توجهى بعض اهتمامك لها وأن تنبهي والدتك إلى ضرورة تصحيح نمط علاقتها بها وتوجيه الوقت الكافى لاكتساب صداقتها. . وإشباع احتياجاتها من العاطفة والحنان والإحساس بالجدارة لكيلا تطلب كل ذلك من الطريق الآخر. . فالحق أننى توقفت متأملاً أمام عبارة خطيرة فى رسالتك تقولين فيها إن والدتك ليست نموذجاً منفرداً بين الأمهات، وإن منهن من لا يوجهن للعلاقة الإنسانية بينهن وبين بناتهن بعض ما يوجهنه من وقت لأعمال البيت أو لعملهن خارجه، وليس أدل على الخلل الجسيم فى ترتيب الأولويات الجديرة باهتمام الآباء والأمهات من مثل هذا الخلل. . فالأبناء ينبغى لهم أن يكونوا فوق قمة هرم اهتمامات الآباء والأمهات ومن بعدهم تأتى أعمال البيت وعمل الأمهات فى الخارج وكل شئ آخر الحياة.

فلتكن إذن رسالتك هذه كما تقولين جرس الخطر لبعض من تشغلن شئون الحياة المادية عن بعث الدفء فى علاقتهن ببناتهن وأبنائهن - ولتكن كذلك تنبيها صارخاً إلى حاجة الأبناء وخاصة البنات منهم إلى صداقة الأمهات والآباء واهتمامهم ووقتهم، لكيلا يضلوا الطريق ويلتمسوا كل ذلك من المورد الخاطئ.





قصہ



أنا رجل أبلغ من العمر ٣٦ عامًا ومتزوج ولى طفلان جميلان أكبرهما فى السادسة، والآخر فى الرابعة من عمره، وقد تزوجت منذ سبع سنوات بزميلة لى بالعمل بعد فترة خطبة استمرت عامين، وأكرمنا الله بسكن جيد من أربع غرف قمنا بتأثيثه قبل الزواج، وقد بدأت مشكلتى منذ فترة الخطبة حيث تبين لى أن خطيبتى عنيدة للغاية وتتعامل معى بندية مبالغ فيها، وقد تسألنى ولماذا إذن استكملت مشوار الارتباط بها بالرغم من اكتشافك لعنادها الشديد فى فترة الخطبة، وأجيب على سؤالك بأنه كانت لدى اعتبارات أخرى حالت بينى وبين إنهاء الارتباط قبل إتمامه.. أولها خوفى من الله أن أكون مخطئاً فى هذا القرار بعد أن خطبتها ودخلت بيتها وتهيأ أهلها لاستكمال المشروع، والثانى هو أنها يتيمة الأب، والثالث هو الأمل فى تغير شخصيتها بعد الزواج، وهكذا تزوجنا وحدثت بيننا بعض الخلافات على فترات متفاوتة بسبب عنادها وردودها الجافة فى أغلب المواقف، ثم رزقنا الله بطفلتنا الأولى وحصلت زوجتى على أجازة من العمل وتفرغت لرعايتها إلى أن بلغت الثالثة.. ورجعت للعمل من جديد.. وكنا نترك طفلتنا فى دار الحضانة إلى أن نرجع من العمل بعد الثالثة لاستلامها فنجدها نائمة وحدها بالحضانة والفراشون يقومون بأعمال النظافة وكنس الأتربة مما أدى إلى

إصابة ابنتى بحساسية فى صدرها وهى مازالت طفلة فى عمر الزهور.

ومضت الأيام ورزقنا الله بالطفل الثانى فلم تمهله زوجتى كى يستمتع بحنانها ورعايته سوى بضعة شهور ثم أصرت على العودة للعمل مرة أخرى، وشاءت الظروف أن تدخل شركتنا دائرة الخصخصة وعرضت الإدارة على العاملين بها تعويضات مالية نظير ترك العمل، فقررت الاستقالة والحصول على التعويض لكى أبدأ حياة جديدة فى مكان آخر، ووفقنى الله بالفعل فى فرصة عمل جيدة فى موقع مرموق وبدخل مناسب، وقررت زوجتى بمحض إرادتها بعد ذلك ترك العمل والحصول على التعويض وكان تعليقى على قرارها هو أن الله سبحانه وتعالى قد عوضها بمبلغ تستطيع إيداعه فى البنك والحصول منه على عائد شهرى مناسب فتستطيع التفرغ لرعاية طفليها وهما فى مرحلة من العمر يحتاجان فيها إلى رعايتها أكثر من أى شىء آخر خاصة وأن عملى يتطلب قضاء وقت طويل فيه، وأمضت زوجتى قرابة العام متفرغة للبيت والأسرة ثم فوجئت بها تقرر البحث عن عمل من جديد وحاولت إقناعها بأن البيت والطفلين وزوجها يحتاجون إليها، وأن عمر الطفلين ليس مناسباً لعملها الآن.. فلم تقتنع بشىء ومضت فى البحث عن عمل حتى وجدته، وراحت تعد الأوراق اللازمة لاستلام العمل دون أن تأبه



لاعتراضى . . ولجأت إلى أمها وشرحت لها أننا لسنا فى حاجة إلى عائد عملها وأنها ستعود إلى ترك الطفلين كل يوم من الصباح حتى الخامسة مساءً، وأنى منذ تزوجنا وأنا أطالبها بالتفرغ للأسرة بلا طائل ووافقتنى والدتها فى رأى وكذلك خالها الأكبر الذى يعتبر والدها وحاولا إثناءها عن رغبتها دون فائدة ورجعت للحوار معها من جديد وسألتها لماذا تحتاج للعمل وظروفنا أفضل من كثيرين غيرنا ولدينا طفلان فى سن يحتاجان فيها لرعاية الأم؟ فلم أسمع منها سوى: ولماذا لا أعمل لكى أستطيع شراء بوتاجاز كبير وديب فريزر وأنتريه جديد ونعيد طلاء الشقة؟ . . وأجبتها بأننا سنشتري كل ذلك ولكن بالتدريج . . وأن رزق الله لعباده ليس مالا فقط وقد وهبنا سبحانه وتعالى الأبناء والصحة والرزق الطيب . . فلم تجد محاولاتي معها أى نتيجة، وأمام إصرارها على العمل هددتها بأنها إذا أصرت على ترك الطفلين والنزول للعمل فسوف أهجّر البيت إلى أن ترجع عن عنادها. ونفذت تهديدى بالفعل وهجرت البيت وأقمت لدى أهلى بعد أن رفضت التراجع عن موقفها بالرغم من محاولات أهلى وأهلها معها.

وها قد مضت ٥ شهور على هجرى لبيتى دون أية خطوة إيجابية من جانب زوجتى . . ولقد حكم كل من تدخل بينى وبينها بأنها

عنيدة للغاية ولم تضع أبناءها وزوجها فى الاعتبار عند اتخاذها  
لهذا الموقف العنيد ولولا الطفلان لكان قرارى بالانفصال بعد  
كل ما عانيته من عناد زوجتى وردودها الجافة خلال معاشرتى  
لها سامحها الله وهداها لكيلا يتعرض بيتنا الجميل للانهياء . . فماذا  
تقول لى؟



## ولكاتب هذه الرسالة أقول

العناد دليل الغباء وافتقاد الحكمة والمرونة . . كما أنه دائماً أقصر الطرق إلى التصادم مع الآخرين والإضرار بالنفس وبالغير .

ولقد تطور الموقف الآن بينك وبين زوجتك حتى أصبح صراعاً بين إرادتين لا نهاية له إلا بهزيمة أحد الطرفين وانتصار الآخر ، كما كان الحال فى روما القديمة حين كان الأباطرة يتلهون بمشاهدة مباريات المصارعة حتى الموت بين سجينين توهب للفائز منهما الحياة . . ويلقى الآخر مصرعه قرباناً لحرية المنتصر .

وليس هكذا ينبغى أن تكون العلاقة السوية بين شريكى الحياة اللذين تربط بينهما أواصر المودة والرحمة والتفاهم والحرص على المصلحة المشتركة للأسرة والأبناء .

وفى تقديرى أن زوجتك قد أخطأت بمضيها فى اتخاذ إجراءاتها للالتحاق بالعمل الجديد بالرغم من رفضك الضريح لعودتها للعمل وسعى أهلها الحثيث لإثنائها عن رغبتها فى ذلك حرصاً على كيان الأسرة والطفلين ، فلقد أسقطت بذلك قوامتك عليها وأعلنت التحدى السافر لإرادتك ، والعمل فى النهاية حق للمرأة وليس واجباً

مقدسًا عليها. . ومن الحكمة أن تتخلى عنه بصفة مؤقتة أو دائمة إذا دعتها ظروف أطفالها للتفرغ لهم أو اعترض زوجها عليه لأسباب يقدرها ويشاركه الأهل في حكمة تقديره. . خاصة إذا لم تفلح الزوجة في إقناعه بالحوار والتفاهم بقبوله. . وفي كل الأحوال فإن الحوار هو السبيل الوحيد للتفاهم حول هذا الأمر وليس الضغط والإكراه والتصلب والمراهنة على عجز الطرف الآخر عن الصمود على موقفه للنهائية. . كما تعتمد زوجتك الآن على هذا الرهان وتأمل في رضوخك للأمر الواقع وعودتك للبيت على أساس التسليم به.

ولقد يكون الحل الوسط في هذا الموقف هو أن تكتفى زوجتك بما حقته في عملها خلال الشهور الماضية، وتبرهن على مرونتها وحرصها على زوجها وطفليها وبيتها بالاستقالة من العمل والتفرغ للأسرة لعامين آخرين أو ثلاثة يشترط خلالها عود طفليها ويصبح من حقها بعدها التطلع للعمل وتحقيق طموحاتها فيه.



أنا شاب فى الثلاثين من عمرى شاء لى القدر أن أفقد أمى وأنا فى سن المراهقة.. فنشأت بين إخوتى وتدرجت فى التعليم حتى بلغت عامى الثانى بإحدى جامعات الإقليم.. وفى الأجازة توجهت إلى القاهرة للعمل فى الصيف، وتعرفت فى دائرة السكن بفتاة تبادلت معها الإعجاب والحب وارتبطت بها وصارحت إخوتى بنيتى فى الارتباط بها، وبعد فترة أخرى خطبتها.. وأنهيت خلال عامين من الخطبة كل التزاماتى من حيث توفير المسكن والأثاث إلخ.. وذات يوم خرجت من عملى بالقاهرة إلى بيت خطيبتى فلم أجدها فيه وانتظرتها حتى التاسعة مساء فإذا بها تعود وهى تضع الماكياج الثقيل الذى لم أرها به من قبل.. وسألتها عما أخرها، ففوجئت بها تصيح فى وجهى بأنها قد أنهت كل ما بينى وبينها.. وتطلب منى أن أدعها لشأنها.. وصعقت حين سمعت ذلك وحاولت معاتبته فلم أجدها لديها أى استعداد لتقبل عتابى.. وانصرفت حزينا.. ووسطت بعض أهلها لديها فى أن تعدل عن موقفها المفاجئ ففشلت كل المساعى.. وتم فسخ الخطبة بالفعل.. وساءت حالتى المعنوية والصحية.. وعشت ستة أشهر كاملة وأنا شبه مريض، وانتهى الأمر بدخولى المستشفى بالفعل وإجراء جراحة لى.. وغادرت المستشفى وقد فقدت الثقة فى نفسى وفى الحب

وفى كل الفتيات، وبعد عامين آخرين تزوجت من فتاة طيبة من  
مدينتى الصغيرة وأنجبت منها طفلاً وعشت معها حياة هادئة  
وبلا مشاكل، ونظمت حياتى بحيث أقضى أيام الأسبوع  
بالقاهرة، حيث أعمل وأرجع إلى مدينتى القريبة لأمضى يومين مع  
زوجتى وطفلى.. وبعد ثمانى سنوات من فسخ خطبتى لفتاتى  
القديمة التقيت بها بالمصادفة قبل أسابيع وعرفت منها أنها قد  
تزوجت وأنجبت طفلاً ثم طلقت ورجعت للإقامة مع أسرتها.. وبدأ  
مسلسل إحياء الحب القديم وغير ذلك من سيناريو هذا الفيلم  
الهندي المألوف.

وقد وجدت نفسى بعد قليل أسعى إلى «خطيئتى».. أو خطيئتى  
الأولى وأتحدث معها عن الزواج ليس لأننى مازلت أحبها.. وإنما  
لكى أنتقم منها بسبب ما فعلته بى فى الماضى.. وبسبب جحودها  
وتحطيمها لقلبى بلا رحمة من قبل. وكلما استمعت إلى صوت  
العقل.. وصرفت النظر عن التفكير فيها وجدتنى فى شوق لأن  
أشفى غليلى منها وأن أحطم قلبها كما حطمت قلبى، وأذاقتنى  
مرارة الحرمان من الحب.. ومرارة جحودها وتنكرها لى.. إننى  
حائر ولم أستقر بعد على رأى.. وزوجتى الطيبة تلوح لى أحياناً  
فى مخيلتى فيُخيل إلى أنها تعاتبنى وتلومنى على ما أفكر فيه..  
فماذا أفعل؟



## ولكاتب هذه الرسالة أقول

الانتقام الحقيقى من الفتاة التى حطمت قلبك وتنكرت لك من قبل - إن كان ثمة ضرورة للانتقام من الأصل - هو أن تسعد بحياتك مع زوجتك الطيبة وطفلك الصغير.. وهو أيضاً فى أن تُشعر تلك الفتاة بأنها قد خرجت من حياتك إلى الأبد.. فتعرف أنها قد خسرت السعادة والأمان معك حين ضحت بك على مذبح تقلب أهوائها وتطلعها للارتباط بغيرك، ولا عجب فى ذلك فخير انتقام ممن أساءوا إلينا هو ألا نصبح مثلهم قادرين على الإساءة للغير.. وأن نسقطهم من تفكيرنا نهائياً فلا نسمح لهم بأن يشغلوا من فكرنا ما لا يستحقونه من مساحة حتى ولو كانت مساحة الرغبة فى الانتقام منهم أو التشفى فيهم.. فالتشفى فى الآخرين «طرف من العجز» كما قال أحد الأعراب ذات يوم ناصحاً الخليفة العباسى المنصور، وزعمك لنفسك أنك ترغب فى الزواج من فتاتك القديمة لا لشيء إلا لكى تنتقم من إساءتها السابقة لك وتحطيمها لقلبك، نوع من خداع النفس لا يقبل به الفضلاء لأنفسهم، إذ كيف يكون الانتقام منها بإيلام زوجتك الطيبة التى لم تسيء إليك من قبل وأعادت إليك ثقتك المفقودة فى النفس وفى الجنس الآخر؟

وكيف يكون الانتقام ممن تنكرت لك قبل سنوات،  
بتعريض طفلك الصغير للتمزق بين أبويه إذا ساءت الأحوال  
بينك وبين زوجتك بعد ارتباطك بالأخرى وانتهى الأمر بالانفصال  
بينكما؟

بل كيف يكون هذا «الانتقام» بأن تكسب فتاتك الغادرة «زوجاً»  
يحدث عليها مهما زعم لنفسه التشفى فيها.. وتخسر زوجتك  
المخلصة التي ضمدت جراح قلبك وارتضت زوجاً كانت سعيدة به  
وراضية عن حياتها معه؟ وأية حياة هذه ستقوم بينك وبين هذه السيدة  
لو تزوجتها بنية الانتقام والإساءة فتمضى أيامك معها متوتراً متحفزاً  
بالرغبة في الإيذاء، أو تزوجتها بنية استعادة الحب القديم فتمضى  
حياتك معها.. مروراً بذكرىات الخيانة القديمة والشك في إخلاصها  
لك؟ يا صديقى اصرف النظر نهائياً عن الارتباط بهذه السيدة ودعها  
لحياتها وأقدارها كما طلبت منك ذات يوم قبل ثمانى سنوات، ولا  
تفتعل الأسباب والمبررات للاقتراب منها، فلقد لفظتك وهى فى  
عنفوان قوتها.. وليس مما يشرفك أن تقبل الآن بك وهى فى  
ضعفها. وشكراً..



أكتب إليك وكلى أمل فى ألا تضن علىّ بمشورتك . . فأنا سيدة فى السابعة والثلاثين من عمرى أشغل مركزاً مرموقاً وظروفي المادية جيدة . . ولقد تزوجت منذ عشر سنوات من رجل كريم ميسور الحال ويشغل مركزاً مرموقاً هو أيضاً، ورزقني الله بعد زواجى منه بعام واحد بطفل جميل يبلغ عمره الآن تسع سنوات ويتمتع - والحمد لله - بأخلاق ممتازة ومتفوق دراسياً وذكى جداً وأحمد الله عليه كثيراً.

وبعد عامين من إنجابى لطفلى حملت فى طفل آخر ثم تعسرت فى ولادته فلم ير الحياة . . وأجريت لى فى المستشفى عملية جراحية ومكثت فى العناية المركزة فترة طويلة إلى أن كتب الله لى الشفاء، وقررت تأجيل الإنجاب بعد ذلك إلى أن أسترده صحتى ووافقنى زوجى على ذلك.

ثم حدث بعد ذلك أن تأخر الحمل كثيراً وطرقت أبواب أكبر الأطباء وخضعت لمشارطهم أكثر من مرة وتكلفت الكثير والكثير ولم يحدث الحمل مرة أخرى بالرغم من تأكيد الأطباء لى أنه ليس هناك سبب محدد لعدم الحمل، وإنما هى إرادة الله سبحانه وتعالى . . فتقبلت إرادته ورضيت بها وحمدت ربي على أن وهبنى ابني ورأيت نفسى أفضل حالاً من كثيرين غيرى حرموا من نعمة الإنجاب . . لكن

المشكلة هي أن زوجي يريد أطفالاً آخرين وحجته في ذلك أنه لا يريد لابنه أن ينشأ وحيداً ويرغب في أن يكون له إخوة يساندونه في الحياة، ولست أختلف مع زوجي في ذلك لكن ماذا أفعل لكي أحقق له هذه الرغبة وأنا لم أدخر وسعاً.. وتكلفت الكثير من مالى وصحتي لتحقيق أمنيته هذه؟.

لقد عرض على زوجي أن يتزوج من أخرى.. ويريد منى أن أتقبل ذلك وأن اعتبره شيئاً عادياً في حياتي، وأن يجمع بيننا ويرى أن ذلك من حقه وأن اعتراضى عليه سيكون ذنباً كبيراً لى لأنه متمسك بى كما يقول ولا يريد أن يفرط فى.. غير أنى قلت له إنه إذا أراد أن يتزوج من أخرى فهذا حقه ولا منازع له فيه لكن عليه أولاً أن يطلقنى ثم يبدأ حياته الجديدة بعد ذلك مع إنسانة أخرى.

ولست أنكر شرع الله أو أنكر حق الرجل فى الجمع بين زوجتين إذا اقتضت الضرورة ذلك لكننى إنسانة.. ومن حقى أيضاً أن أرفض هذا الوضع وأن أتحسب لما سوف يكون عليه مركزى ووضعى وحياتى ورد فعل المجتمع والأهل لذلك.. ثم من ضمن له أن تكون الإنسانية التى سيتزوجها كريمة معه ومع أهله مثلى؟ ومن ضمن له أن أبناءه الذين سينجبهم منها - إذا شاء الله - سيكونون أسوياء وإخوة أوفياء لابننا وليسوا سبباً لتعاسته فى المستقبل إذا



فسدت مشاعرهم تجاهه؟ ومن يدرية أن أمهم لن تزرع الحقد والكره فى نفوسهم تجاه أحيهم هذا أو تشعرهم بتمييزه عنهم... أو تحرض زوجها على تمييز أبنائها عنه فيحقد هو عليهم؟... وكم من آباء أنجبوا أبناءً كثيرين ثم رحلوا عن الحياة قبل أن يكملوا رسالتهم معهم وتركوهم للحياة وقسوتها يواجهون مرارة اليتيم وافتقاد الأب.

إننى لم أفقد الأمل فى الله وأحس فى داخلى بأن الله سوف يعوضنى خيراً عن طفلى الثانى الذى لم ير الحياة وعن معاناتى الطويلة فى العلاج لكن زوجى لا يصبر... فهل توافقنى فى رأى؟... وهل ترى فى رفضى لفكرة الجمع بينى وبين زوجة أخرى ظلماً منى لزوجى كما يقول لى؟.

يكون ظلمًا له بالفعل أن تمنعه من الزواج من أخرى لكى ينجب منها إخوة لابنه الوحيد كما يريد ويتمنى إذا كنت ترفضين الطلاق منه وتأبين عليه فى الوقت نفسه هذا الزواج، وتملكين عليه من وسائل القهر ما يرغبه على الالتزام بما تريدين . . . ولأن ذلك متعذر بالفعل عمليًا ومنطقيًا فلا ظلم له فى موقفك ولا إثم عليك فيه، وإنما يستطيع زوجك إذا تمسك برغبته ورفض أن يصبر عليك عسى أن يحقق لك الله أملك الحسير فى الإنجاب مرة أخرى، أو إذا لم يرض بما أنعم عليه به ربه من نعمة إنجاب طفله الوحيد، يستطيع أن يجيبك إلى رغبتك فى الطلاق ثم يبدأ حياة جديدة يحقق فيها ما يرجوه لنفسه . . . لكن المشكلة الأزلية هى أن كل إنسان منا ينظر إلى الأمر المطروح عليه من زاوية الرؤية الخاصة به وحده فىرى نفسه محققًا تمامًا فى موقفه . . . ويرى الآخرين يفتشون على الحقيقة، فيختلط الحق لديه برغباته واعتباراته الذاتية وتضيع الحدود الفاصلة بينهما ونفتقد جميعًا النظر الموضوعى للأشياء .

وعفواً ياسيدتى إذا قلت لك إن نفس هذه النظرة الشخصية للأمر قد تنسحب عليك أنت أيضاً بالرغم من إيمانى الدائم بحق الزوجة



الشرعى فى تخييرها بين الاستمرار مع زوجها وبين تسريحها بإحسان  
إذا رغب فى الزواج من أخرى.. وكذلك بحقها فى رفض زواج  
زوجها من أخرى وتمسكها بالانفصال عنه إن لم تقبل بمشاركة امرأة  
أخرى لها فيه.. فأما أن هذه النظرة غير الموضوعية تنسحب عليك  
أيضاً فلأنك لا تكتفين بالتمسك بهذا الحق الشرعى والإنسانى لك..  
ولا تقيمين دعواك فى رفض زواج زوجك من أخرى للإنجاب، على  
أن كل زوجة فى الوجود لا يسعدها وجود امرأة أخرى فى حياة  
زوجها، وترغب دائماً فى أن تنفرد بزوجها دون غيرها من النساء..  
مهما تكن مبرراته للزواج عليها، ولا على أن الله سبحانه وتعالى قد  
أنعم عليكما بابن جميل ولم يحرمكما من الإنجاب كلية.. وقد  
يكون من الخير لكما أن تقبلا بما اختاره الله لكما، وليس هناك من  
مبرر قوى لأن تضطرب حياتكما بزواج زوجك من أخرى وما سوف  
يترتب عليه من مشكلات بينك وبينه إلخ. وإنما تتجاوزين ذلك  
إلى محاولة إثبات فساد الفكرة نفسها وترجيح فشلها فى تحقيق  
ما يرغبه زوجك لنفسه من إنجاب إخوة آخرين لابنه الوحيد،  
وتقيمين دعواك كلها فى ذلك على احتمالات قد تتحقق كلها  
أو بعضها وقد لا تتحقق كلها ولا بعضها.. والمسعى واحد لديك  
ولديه بالرغم من اختلاف الهدف، فهدفه هو إقناعك بقبول رغبته  
فى الزواج من أخرى للإنجاب بغير خسائر عاطفية وعائلية يتكبدها  
على جبهتك.

وهدفك هو إقناعه بالتراجع عن فكرة الزواج من أجل الإنجاب والقبول بالوضع الحالى لكيلا تشقى بوجود امرأة أخرى فى حياته .

وكل منكما فى سبيل تحقيق هدفه يلوى عنق الحقيقة لإثبات صحة موقفه وأحقته فيه .

وكل منكما مطالب بأن يكون أكثر عدلاً مع الآخر مما هو عليه الآن فيقول لك زوجك إنه يريد الزواج من أخرى للإنجاب بغير أن يحاول إيهامك بأن رفضك لذلك يكون ظلماً له أو إثماً عليك وتقولين أنت له إنك ترفضين أن تشاركك فيه امرأة أخرى، ولن تسعدى بذلك ولن تسمحى به ومن حَقك الحصول على الطلاق قبل أن يبدأ حياته الجديدة، وأن زواجه هذا سيكون له ثمن غال هو تهدم عشه الأول وحرمان طفله من النشأة الطبيعية بين أبويه . . وافتقاد زوجته الأولى وحياته الهادئة معها .

ولا داعى لتخريج الحجج والمبررات لكى يثبت كل منكما للآخر أن الحق فى جانبه وحده . . وشكراً .



أبكتني رسالة «البيت الجميل» للطفلة الحائرة التي تعيش مع شقيقها البالغ من العمر اثني عشر عاماً فقط في مسكن مستقل بعيداً عن أمها وأبيها، وتشكو افتقادها وافتقاد شقيقها لأمههما، لأن والدها يرفض بإصرار أن يسمح للأم المطلقة بأن تعيش مع ابنها وابنتها في المسكن الذي وفره لهما ولا يسمح لها برؤيتهما إلا مرة كل أسبوعين ويحرم عليهما الاتصال بها تليفونياً، كما أن الأم لا تستطيع توفير مسكن يجمع بينها وبين الطفلين، في حين يعيش الأب في «بيت جميل» مع زوجته الجديدة وأطفاله منها. وفي ختام رسالتها المؤلمة هذه تطلب منك الطفلة أن «تجد» لأمها رجلاً متديناً يتزوجها ويقبل أن يعيش معها الطفلان ويصبح أباً لهما لكي يجتمع شمل الأم وابنها وابنتها تحت سقف واحد.

وقد يتساءل بعض القراء... هل هناك مثل هذا الشخص الذي يرحب بسيدة مطلقة وأبنائها ويصبح أباً رحيماً وعادلاً لهؤلاء الأبناء ويتكفل بهم مادياً ومعنوياً ويحنو عليهم بعد أن يكف الأب الطبيعي يده عن الإنفاق عليهما تنفيذاً لشرطه إذا ضمتهم الأم لحضانتها؟... ورسالتي هذه قد تجيب على هذا السؤال.

فأنا شاب انفصل أبى عن أمى منذ أكثر من ٢٢ عاماً..

وتنبهت للحياة فوجدتني طفلاً صغيراً يلهو فى بيت مزدحم بالبنات والأولاد.. وأمى الشابة الجميلة ترعانى وأنام على صدرها كل ليلة فى غرفة تنفرد بها فى المسكن المزدحم، وفى البيت «أم» أخرى أكبر منها سنًا وأكثر تفرغًا للملاعبتى ورعايتى، و «أب» كبير السن لا يرانى مرة إلا ويعطينى شيئًا من الحلوى، وهناك «رجل» آخر يظهر كل أسبوعين أو ثلاثة فى صالون الشقة.. فيتكهرب الجو فى البيت وتختفى أمى فى غرفتها، وتسرع الأم الأخرى الكبيرة بمساعدتى على ارتداء ملابسى وهى توصينى بالتزام الهدوء والأدب مع هذا الرجل الذى يجلس فى الصالون لأنه «أبوك».. وتدفعنى دفعًا إلى مصافحته والخروج معه من البيت فأخرج بعد شىء من المقاومة، وفى الخارج يحاول هذا الرجل إرضائى وشراء الحلوى واللعب لى.. فأنسى مخاوفى بعض الشىء وأتجاوب معه.. ونتمشى فى الشوارع.. أو نذهب إلى الملاهى.. أو نزور رجلاً كبيراً آخر وسيدة كبيرة أخرى يقول لى إنهما جدى وجدتى، ثم يعيدنى إلى البيت.. فأرجع ومشاعرى تتراوح بين الابتهاج بهذه الفسحة وبين الارتياح لعودتى إلى أمى الشابة وفى غرفة النوم تنفرد بى أمى وتسالنى باهتمام عما فعلت مع هذا الرجل وماذا قال وماذا قلت له.. وهل سألنى عنها؟ أو لم يقل لى شيئًا عنها؟ أو لم يطلب منى إبلاغها أى شىء؟.. فأجيبها على تساؤلاتها بما يعن لى وقتها ويفوتنى لصغر سنى بالطبع إدراك ما وراء هذه التساؤلات المحرومة ولم أفهم إلا بعد سنوات



سبب اكتئابها ووجومها حين أقول لها إنه لم يسألنى عنها ولم يطلب منى أن «أسلم» له عليها أو أبلغها بأى شىء!

وتمضى بى الأيام على هذا النحو، ثم يظهر فى بيتنا رجل آخر ألاحظ اهتمام أمى الكبير وأبى الكبير به وحفاوتهما الزائدة بزيارته والجلوس معه فى الصالون.. . وألاحظ أيضاً أن أمى تطلب منى حين يجرى الخروج من غرفتها وتغلق بابها عليها فيها لفترة طويلة ثم تخرج بعدها وهى «كالعروسة» فى كامل زينتها وملابسها، وتدخل الصالون وأتبعها إليه.. . وأجلس إلى جوارها وهى تتبادل الكلام مع هذا الرجل.. . وأجده يحاول دائماً الحديث معى وسؤالى عن ألعابى وأصدقائى، وأشعر بعد قليل من النفور المبدئى منه بالاعتقاد عليه وأبدأ فى الاستجابة لمداعباته، وأرى وجه أمى الجميل يشرق بالبهجة حين ترانى أتحديث إليه وآلفه.. . ثم ينشغل البيت بأشياء جليلة.. . وتكثر أمى الصغيرة والكبيرة من الخروج دون اصطحابى معهما.. . وأفتقد أمى.. . وأشكو للأب الآخر الكبير فينظر إلىّ بهدوء ويقول لى إنه سيحدثنى «كرجل» ويتوقع منى أن أكون عند حسن ظنه.. . ثم يسر إلىّ بالخبر المهم وهو أن أمى سوف «تتزوج» من هذا الرجل الذى آراه فى الصالون خلال أيام وسوف يسافران معاً فى أجازة، وبعد عودتهما سوف أعيش معهما فى مسكن جميل.. . وأتمتع بحنان أمى وعطف هذا الرجل الطيب.. . ولا أفهم مما يقوله شيئاً إلا أننى

سوف أعيش مع أمى فى مسكن آخر وأن المطلوب منى هو الصبر على غيابها بعض الوقت قبل أن يحدث ذلك .

ويتحقق كل ما قاله لى بعد فترة من الانتظار . . وانتقل إلى أمى فى مسكن جديد . . ويصبح زائر الصالون هذا عضواً دائماً فى حياتنا الجديدة . . وأتعامل معه كما كنت أتعامل مع الرجل الكبير فى بيتنا السابق . . وأبى الآخر الذى يدعونى للخروج معه مرة كل أسبوعين . . وأدرك رغم صغر سنى أنه قد وافق على بقائى مع أمى و«زوجها» الجديد، لأنه قد تزوج ورفضت زوجته أن يضمنى إليه، وحسناً فعلت لكيلا تحرمنى من أمى، وفى سن مبكرة أدركت أن ظروفى تفرض علىّ أن أكون «مؤدباً ومطيعاً» مع زائر الصالون الذى أعيش معه . . ومع أبى الآخر كلما طلب أن أزوره وأن أشكره على ما يرسله لأمى من نقود كل شهر لتكاليف حياتى .

وشيئاً فشيئاً بدأت أتعود على وجود زائر الصالون فى حياة أمى وحياتى، وبعد عامين أصبح لى أخ صغير أحبه وألاعبه . . كما أصبح لى فى البيت الآخر أخت أخرى لا أراها إلا حين أزور أبى، وشيئاً فشيئاً أيضاً بدأت أحب هذا الرجل الذى تزوج من أمى، وأتقبل كل توجيهاته لى بصدر رحب وألاحظ أنه رجل طيب ويصلى ولا ينهرنى ولا يضربنى أبداً ولا يصيح فى وجه أمى، وإنما ينفذ كل رغباته بالهدوء والكلام الطيب . كما بدأت ألاحظ أيضاً أن أمى تحبه



وترعاه وتقول لى عنه إنه تعويض ربها لها وتلفت نظرى إلى أنه يحبني ويخاف علىّ، ولا يبخل بشيء من مطالبى. وبالفعل فلقد أدخلنى الرجل مدرسة لغات وأشرف على تعليمى وتربيتى وعلمنى أن أعرف ربى وأن أصلى الفروض فى أوقاتها ثم بدأ يؤمنى فى الصلاة ويرفع يديه بالدعاء بعدها ويطلب منى أن أفعل مثله وأدعو الله أن يحفظنى وإخوتى وأمى وأبى وجدى وجدتى من كل سوء.

وحين بلغت مرحلة المراهقة.. وبدأت أتمرد على بعض الأشياء.. كان هذا الرجل هو الذى يتدخل بينى وبين أمى ويصلح بيننا ويجلس معى فى الشرفة وينصحنى ويطلب منى أن أكون رفيقًا بها لأنها قاست الكثير.. فلا عجب أن أحبته حبًا من القلب لأننى وجدت لديه حنان الأب الحقيقى.. ولم أجد مثله لدى أبى الطبيعى الذى يكتفى بإرسال المبلغ الشهرى، ولا أجد حين آراه ما أتحدث فيه معه فيحل الصمت بيننا بعد تبادل السؤال عن الأحوال.

وبعد فترة أخرى، طلب أبى الآخر أن أنتقل إلى بيته لكى أكون تحت إشرافه فى هذه المرحلة الحرجة من العمر، ولم أرحب بذلك فى أعماقى لكن من كانت ظروفه مثلى لا يكون له حق الاختيار.

وانتقلت للإقامة معه ومع زوجته وإخوتى منه، وعانيت الأمرين من زوجة أبى التى عاملتنى من اليوم الأول على أننى ابن ضررتها وليس كأخ لأطفالها، وانزويت فى غرفة يشاركنى فيها إخوتى معظم

رفضى لكيلا أغضبه كعادتى معه ومع غيره وظللت عدة أيام لا أنام . . وأبى الحقيقى يسألنى عما بى . . ويلح علىّ فى السؤال . . وأنا لا أبوح بشيء إلى أن رجع من الخارج ذات مساء وبادرنى متهللاً بأنه أقنع أبى بعد رجاء طويل وعناء شديد أن يدع لى حق اختيار دراستى . . وكانت ليلة سعيدة فى حياتى . . والتحقت بالكلية التى أرغبها بالرغم من احتجاج أبى وأمضيت سنوات الدراسة بتفوق وأبى الفعلى يشجعنى ويسعد بنجاحى ويحتفل به احتفالاً صاخباً ويطلب من أبنائه أن يقتدوا بى ، إلى أن تخرجت متفوقاً وأديت الخدمة العسكرية وعملت بوظيفة لائقة وبدأت أتطلع لما يتطلع له الشباب فى مثل سنّى ، وارتبطت عاطفياً بزميلة لى وفاتحت بمشورة أمى أبى الذى أحمل اسمه فى رغبتى فى خطبتها . . فرفض ذلك



رفضاً باتاً وبغير أن يسمع أية تفاصيل قائلاً لى إن الوقت مبكر جداً للتفكير فى مثل ذلك. ولم يقتنع بكل ماقلته له من أننى أرغب فقط فى تقديم الشبكة لفتاتى وأن أماننا أربع سنوات إلى أن نتزوج وصارحت فتاتى بما حدث وأعفيتهما من عهدهما معى. . لكنها لم تقبل ذلك، وفوجئت بأمى بعد يومين تقول لى إنها اتصلت بها وأبلغتها استعداد أسرتها لقبول دبنتين فقط إلى أن تتحسن الأحوال، ووجدت أبى الحقيقى يدعونى للجلوس معه فى الشرفة كعادته كلما أراد أن يتحدث معى فى شىء مهم ويسألنى هل تحبها حباً حقيقياً؟ وأجيبه بالإيجاب فيقول لى: إذن لا تفرط فيها لكيلا تندم على ضياعها من يدك ولسوف يعينك الله سبحانه وتعالى على تكاليف الزواج، ثم يقول لى إنه حاول مع أبى كثيراً لإقناعه بالتقدم لأسرة هذه الفتاة. . وأصر على الرفض فاستأذنه فى أن ينوب عنه فى أن يخطبها لى لأنه كما قال له «والد» أيضاً لى فلم يجب بالرفض أو الإيجاب وإنما قال له: افعلوا ما تشاءون لكنى لن أساهم فى هذا الزواج!

واتفقنا فى هذه الجلسة على أن نتقدم للأسرة بالدبنتين. . وفى الموعد المحدد ذهبنا إلى بيت فتاتى أنا وأمى وأبى الحقيقى وإخوتى منه، وفى الطريق فاجأنى الرجل الطيب بإخراج علبة مجوهرات قدمها لى سعيداً وهو يقول إنها هديته لى فى مناسبة الخطبة، وفتحها فإذا فيها أسورة ثمينة فصرخت من المفاجأة وطفرت الدموع

من عيني.. وخطفت يده من على مقود السيارة لأقبلها شكراً وعرفاناً، وذهبنا إلى بيت خطيبتى وقدمنا الشبكة وسعدت سعادة طاغية.

وفى الأيام التالية سعدت بحياتى وخطيبتى وأمى وأسرتى، ولم يكدرنى شيء سوى إصرار أبى على ألا يزور أسرة خطيبتى أو يسمح لى باصطحابها معى فى زيارة لبيته لكى تتعرف عليه.

وبدأت أسرة خطيبتى تتحدث عن الشقة.. وأجبت بأنى أدخر نصف مرتبى وآمل أن أستطيع دفع مقدم لشقة صغيرة خلال ثلاثة أعوام.. كما أن أمى سوف تساعدنى ببعض مدخراتها من عملها.. وقد يساعدنى أيضاً أبى الطبيعى وهو قادر على ذلك، ورويت لأبى الفعلى وأمى هذا الحديث.. فإذا بأمى تكشف لى عن فضل جديد من أفضال زوجها على.. وهو أنه منذ عشر سنوات قد رفض بعد أن تحسنت أحواله المادية أن يسمح لها بإنفاق المبلغ الشهرى الذى كان أبى يرسله لى، وأصر على أن تفتح به دفتر ادخار باسمى فى البنك لأستعين به على أمرى بعد الزواج، وفتح لأختى وأخى منه دفترين مماثلين فى نفس الفرع، وواظب خلال السنوات العشر الماضية على وضع المبلغ الذى يرسله أبى لى فى دفترى.. وبالتالي فلن يكون حلم الشقة بعيد المنال إن شاء الله مع ما أدخره من مرتبى.. ولا يمكن أن تتخيل عمق ما أحسست به من حب وعرفان لهذا الرجل،



ولا يمكن أيضاً أن تتصور ما أصابنى من هلع صادق حين رجعت من  
عملى ذات يوم فعلمت أنه قد فاجأته وهو فى عمله أزمة قلبية نقل  
على أثرها للعناية المركزة.. فهرولت إلى المستشفى.. وأمضيت  
الليل واقفاً على باب الغرفة.. واعتصمت بالمكان ثلاثة أيام حتى  
تحسنت حالته ونقل إلى غرفة أخرى وقضيت معظم الوقت معه  
وشعرت بالفخر والاعتزاز وأنا أرى باقات كثيرة من الورد تنهال عليه  
وزواراً عديدين يطمثون على سلامته.

ومضت المحنة بسلام واسترددت اطمئناني للحياة وتعاقدنا على  
شقة لكى نتسلمها بعد عامين ودفعنا مقدم الثمن وواظبت على زيارة  
أبى الطيبى مرة كل شهر فى بيته بالرغم من تحفظه معى وجفاء  
زوجته لى وبرود مشاعر إخوتى منه تجاهى، وبالرغم أيضاً من تمسكه  
رغم كل ما حدث بعدم زيارة بيت خطيبتى أو التعرف على أهلها..  
وقد فعلت ذلك طلباً لرضا ربى.. وأيضاً لأن أبى الحقيقى كان  
يوصينى دائماً بالألا أقطع صلتى بأبى مهما حدث منه، واقترب موعد  
تسلم الشقة وساهمت أمى بمدخراتها من عملها فى دفع المهر..  
ورفض أبى الطيبى المساهمة فيه بدعوى أنه لم يكن راضياً عن  
الارتباط فى هذه السن المبكرة، وحددنا موعد الزفاف فى شهر مارس  
من هذا العام عقب تسليم الشقة وبدأنا نستعد للزواج، ثم فجأة  
أصيب أبى الحقيقى بنوبة قلبية أشد من الأولى ودخل العناية المركزة.

كنت أفعل فى الأيام السعيدة وإنما أرجع إلى البيت . . وأتناول طعام  
الغداء مع أخى وأختى وأمى وأبى طلباتهم . . وأشرف على مذاكرة  
الإخوة . . ولا أخرج من المساء إلا إذا اطمأنت على كل شىء فى  
حياتهم .

ولقد مضت الآن خمسة شهور على وفاة «أبى» ولم تفارقنى  
صورته ولا رنين صوته الهادئ الرزين فى مخيلتى ، وفى كل المواقف  
التى تواجهنى فإنى أتمثله . . وأتسمع صوته وهو ينحنى ويرشدنى  
وأعمل بما كان سيقوله لى لو كان على قيد الحياة . . وقد بدأت أمى  
تتمالك نفسها ، وتقول لى إنها لم تسعد بالحياة وبالزواج إلا مع هذا



الرجل الطيب.. . وهى تضع صورته وهو يحتضننى من ناحية ويحتضن أمى وأخوتى من الناحية الأخرى فى صدر الصالون وتفتح بيتنا لأهله وإخوته وأبنائهم وتستقبلهم بحفاوة وحب وتقول إنها تشم رائحته فى وجوههم.

ومازلت كما عاهدت هذا الرجل الطيب فى حياته أحرص على زيارة أبى مرة كل شهر ولا أحفل بتحفظه معى أو حتى تجهمه فى وجهى أحياناً إعلاناً عن استيائه غير المفهوم أسبابه منى، كما لا أحفل أيضاً بالمشاعر العدائية الصامتة التى تكنها زوجته ضدى بلا سبب معلوم، وأعتبر هذه الزيارة واجباً دينياً أؤديه فى صبر وأرجو من أدائه رضا ربه ومغفرته كما علمنى أبى الحقيقى.

ولقد كتبت رسالتى هذه بعد أن قرأت رسالة الطفلة الصغيرة التى تطلب «أباً» لها ولشقيقها، وأبوها الطبيعى يعيش فى بيته الجميل غير بعيد عنهما فى المكان، لكى أقول لمن لا يصدق إن فى الدنيا بالفعل رجالاً من هذا النوع يمكن أن يكونوا آباء حقيقين لمن لم ينجبوهم وآخرين ليسوا آباءً لأبنائهم فى الحقيقة ولو كانوا قد أنجبوهم بالفعل من أصلا بهم.. . فأرجو أن تجتهد فى «إيجاد» أب آخر كذلك الأب الطيب الذى تربيت أنا فى أحضانه، لوالدة هذه الطفلة الحائرة.. . وأرجو أن تعلم أن لك أجراً كبيراً بإذن الله إذا وفقك الله فى إغاثة هذه الطفلة وشقيقها.. .

كان أمير الشعراء أحمد شوقي يقول :

ليس اليتيم من انتهى أبواه

من هم الحياة وخلفاء ذليلا

إن اليتيم هو الذى تلقى له

أما تخلت أو أبا مشغولا

وبهذا المفهوم فما أكثر يتامى الحياة المعنويين الذين يكابدون  
أقدارهم مع أم تخلت أو أب مشغول.. وما أرحم السماء بمن  
تعوضه عن أبيه أو أمه بأم حقيقية أو أب حقيقى.. لم ينجبه من  
صلبه فيحذب عليه ويتحمل مسئوليته الإنسانية والتربوية بهذا القدر  
من الأمانة التى تحملها عنك هذا الرجل الطيب. ولا عجب فى أن  
تشعر عند رحيله عن الحياة باليتم الحقيقى والخوف من المجهول بعد  
أن انكشف عنك غطاء هذا الأب الأمين.

لقد تذكرت وأنا أقرأ رسالتك ما قاله الإمام المحدث ابن ماجه من  
أنه : خير بيت فى المسلمين بيت فيه يتيم يُحسن إليه، وشر بيت فى  
المسلمين بيت فيه يتيم يساء إليه.



ومع أنك لست يتيماً بالمعنى الحرفى للكلمة . . إلا أن رفق هذا الرجل الصالح حقاً وصدقاً بك قد حماك من كثير من غوائل اليتيم المعنوى وآثاره السلبية نفسياً وتربوياً على من يكابده . والآن فلقد جاء دورك يا صديقى لكى ترد الدين لصاحبه فتكون كما أراد لك أن تكون إنساناً بمعنى الكلمة يرعى حدود ربه ويثر بذور الخير والعطف والرحمة والعدل فى مجتمعه المحيط به .

فلقد أعطاك أبوك الحقيقى المثل فى أن تكون إنساناً يضىء الحياة بوجوده فيها . . ويزيد من مساحة الحب والعطف والرحمة والعدل الإنسانى فى الدائرة التى يتحرك فى مجالها . وعلمك كيف تكون «إنساناً» يعطى للآخرين فيجنى ثمار عطائه لهم وللحياة حباً صادقاً وعرفاناً مخلصاً له ووفاءً لذكراه . والوفاء بالدين من شيم الأوفياء وأصحاب المروءات ، فَأَدِ دِينَكَ على خير وجه للحياة ولهذا الرجل الطيب الذى أحبك ورعى حدود الله فىك ، ولم يفرق بينك وبين من أنجبهم من صلبه . . وقم بواجب الأب الحقيقى مع إخوتك منه . . بل ومع إخوتك الآخرين من أهلك الطبيعى إذا احتاجوا ذات يوم إلى مساندتك لهم فى معركة الحياة . . فمن عرف قلبه الرحمة الصادقة لا يفرق بين الضعفاء حتى لو كانت جهالة الحياة قد أبعدت بعضهم عنه فى بعض الفترات . . والإنسان هو ما يفعله كما قال ذات يوم المفكر الفرنسى أندريه مالرو وليس ما يفعله به الآخرون . . ولقد لمست أنت كيف خلف «أبوك الحقيقى» وراءه كل هذا الأثر الطيب وهذه الذكرى

فى حسن معاسره والدلك وفى الأثر العظیم الذى أحدثه فى نفسه  
ووجدانها فى إحسان عشرتك لزوجتك حين يجمع بينكما عشكما  
الصغير، كما لا تنس أيضاً ماكنت تشعر به وأنت طفل حائر فرضت  
عليه ظروفه الخاصة أن يكون قليل المطالب، شاعراً بالانكسار النفسى  
ويكتم رغباته الحقيقية اتقاءً لغضب الآخرين، ويحس إحساساً مبهماً  
ومؤلماً فى نفس الوقت بأن من كان مثله لا يملك حق الاختيار أو حق  
التعبير عما ينطوى عليه صدره من رغبات وأمنيات، وحاول بكل ما  
تملك من جهد أن تجنب أخويك الصغيرين مرارة هذا الانكسار  
النفسى وآثاره السلبية الغائرة على الشخصية، فللصغار دائماً ومهما  
كانت ظروفهم حق التعبير عن أنفسهم ورغباتهم وأمنياتهم بغير  
خوف من أثر ذلك على من يرعون شئونهم، ولهم أو ينبغى أن  
يكون لهم دائماً ما يكون لغيرهم ممن يعيشون حياتهم الطبيعية من



حق الرفض والقبول وحق الاختيار. وبذلك تقدم للحياة إخوة  
أسوياء تجنبهم مرارة ما أحسست به أنت وأنت تقف أمام أبيك  
الطبيعى عاجزاً عن التعبير له عن رغبتك فى العودة للإقامة مع  
والدتك أو وأنت تكتم رغبتك الخفية فى الالتحاق بكلية بعينها توهمًا  
منك أن مثلك لا يكون له حق الاختيار. وخير الدروس هو ما  
نتعلمه من تجاربنا المؤلمة فى الحياة، وخير البشر هم من يسعون دائماً  
لأن يجنبوا أعزاءهم والآخرين ما عانوا هم من قبل مرارته وخبروا  
قسوته عليهم حين كانوا ضعافاً حائرين. . والسلام.

٧	- مقدمة
٩	الرهان الخاسر
٢١	تحية المساء
٣٩	بيئة الذئاب
٤٧	الصنمت النيل
٥٩	دورة الأيام
٦٥	النظرات القاتلة
٧٣	النظرة الجديدة
٨١	القرار السليم
٩١	الستائر المسدلة
١٠١	الحب الزائف
١٠٩	ثمن الاختيار
١٢١	الذكريات السعيدة
١٢٩	السنوات الضائعة
١٣٩	بداية الطريق
١٤٥	المشاعر الجريحة
١٤٩	موسم الحصاد
١٦٥	الانتقام الوهمي
١٧٣	الموقف العنيد
١٧٩	الانتقام من الماضي
١٨٣	الشيء العادي
١٨٩	الأب الحقيقي



المؤشر الحرفي  
موجود  
على  
الكتيب

## كتب للمؤلف

- |                     |                   |                       |
|---------------------|-------------------|-----------------------|
| الطبعة الثانية ١٩٩٨ | قصص إنسانية       | ١- أصدقاء على الورق   |
| الطبعة الأولى ١٩٨٧  | أدب رحلات         | ٢- يوميات طالب بعثة   |
| الطبعة الثانية ١٩٩٨ | قصص إنسانية       | ٣- هتاف المذنبين      |
| الطبعة السادسة ٢٠٠١ | مقالات وصور أدبية | ٤- صديقي لا تأكل نفسك |
| الطبعة الرابعة ٢٠٠١ | قصص إنسانية       | ٥- نهر الحياة         |
| الطبعة الرابعة ٢٠٠١ | قصص إنسانية       | ٦- العصافير الخرساء   |
| الطبعة الرابعة ٢٠٠١ | مقالات وصور أدبية | ٧- صديقي ما أعظمك     |
| الطبعة الرابعة ٢٠٠١ | مقالات وصور أدبية | ٨- افتح قلبك          |
| الطبعة الرابعة ٢٠٠١ | مقالات وصور أدبية | ٩- اندمثر يا صديقي    |
| الطبعة الثالثة ٢٠٠١ | قصص إنسانية       | ١٠- أزواج وزوجات      |
| الطبعة الثانية ٢٠٠١ | قصص إنسانية       | ١١- أرجوك لا تفهمني   |
| الطبعة الثانية ٢٠٠٠ | قصص إنسانية       | ١٢- رسائل محترقة      |
| الطبعة الثانية ٢٠٠٠ | قصص إنسانية       | ١٣- أماكن في القلب    |
| الطبعة الثالثة ٢٠٠٠ | قصص رومانسية      | ١٤- لا تنسني          |
| الطبعة الثانية ١٩٩٦ | قصص إنسانية       | ١٥- نهر الدموع        |
| الطبعة الرابعة ٢٠٠٠ | قصص إنسانية       | ١٦- أقنعة الحب السبعة |
| الطبعة الثانية ٢٠٠٠ | قصص إنسانية       | ١٧- مكتوب على الجبين  |



- ١٨- أوراق الليل قصص إنسانية الطبعة الثانية ٢٠٠٠
- ١٩- طائر الأحزان قصص إنسانية الطبعة الثانية ٢٠٠٠
- ٢٠- أعط الصباح فرصة مقالات وصور أدبية الطبعة الثانية ٢٠٠٠
- ٢١- الحب فوق البلاط قصص قصيرة الطبعة الثانية ٢٠٠٠
- ٢٢- سائح فى دنيا الله أدب رحلات الطبعة الثالثة ٢٠٠١
- ٢٣- قالت الأيام قصص إنسانية الطبعة الثانية ٢٠٠١
- ٢٤- صور من حياتهم مقالات وصور أدبية الطبعة الثانية ١٩٩٧
- ٢٥- أهلاً.. مع السلامة مقالات وصور أدبية الطبعة الثانية ٢٠٠١
- ٢٦- قدمت أعذارى خواطر وتأملات الطبعة الثانية ٢٠٠١
- ٢٧- أيام السعادة والشقاء قصص إنسانية الطبعة الأولى ١٩٩٩
- ٢٨- حصاد الصبر قصص إنسانية الطبعة الأولى ٢٠٠١
- ٢٩- صوت من السماء قصص إنسانية الطبعة الأولى ٢٠٠١

### • كتب للمؤلف من إصدارات «الدار المصرية اللبنانية»

- ٣٠- العيون الحمراء قصص إنسانية الطبعة الخامسة ١٩٩٨
- ٣١- وقت للسعادة.. وقت للبكاء مقالات وصور أدبية الطبعة الرابعة ٢٠٠٠
- ٣٢- شركاء فى الحياة قصص إنسانية الطبعة الثالثة ١٩٩٦
- ٣٣- خاتم فى إصبع القلب صور أدبية الطبعة الثالثة ١٩٩٩
- ٣٤- وحدى مع الآخرين مقالات الطبعة الثالثة ١٩٩٩
- ٣٥- ساعات من العمر مقالات وصور أدبية الطبعة الثانية ٢٠٠٠
- ٣٦- عاشوا فى خيالى مقالات وصور أدبية الطبعة الثالثة ٢٠٠٠
- ٣٧- ترانيم الحب والعذاب مقالات وصور أدبية الطبعة الثانية ٢٠٠٠
- ٣٨- الثمرة المرة قصص إنسانية الطبعة الثانية ٢٠٠٠



- ٣٩- دموع القلب  
٤٠- أرجوك أعطني عمرك  
٤١- من المفكرة الزرقاء  
٤٢- الأرض المحترقة  
٤٣- سلامتك من الآه  
٤٤- هو وهمي والآخرين  
٤٥- حكايات شارعنا  
٤٦- قالت الأيام  
٤٧- الرسم فوق النجوم  
٤٨- نحية المساء قصص إنسانية
- قصص إنسانية  
مقالات وصور أدبية  
صور ومقالات أدبية  
قصص إنسانية  
مقالات وصور أدبية  
قصص إنسانية  
الطبعة الأولى ٢٠٠١  
الطبعة الأولى ٢٠٠١  
الطبعة الأولى ٢٠٠٢  
الطبعة الأولى ٢٠٠٢  
الطبعة الأولى ٢٠٠٢
- الطبعة الثانية ٢٠٠٠  
الطبعة الثانية ٢٠٠٠  
الطبعة الأولى ٢٠٠٠  
الطبعة الأولى ٢٠٠٠  
الطبعة الثالثة ٢٠٠١  
الطبعة الثانية ٢٠٠١  
الطبعة الأولى ٢٠٠١  
الطبعة الأولى ٢٠٠٢  
الطبعة الأولى ٢٠٠٢  
الطبعة الأولى ٢٠٠٢